أعلام المسلمين

١٣

الإمام البخاري

رضي الله عنه

إمام الحفاظ والمحدّثين

١٩٤ - ٢٥٦ هـ

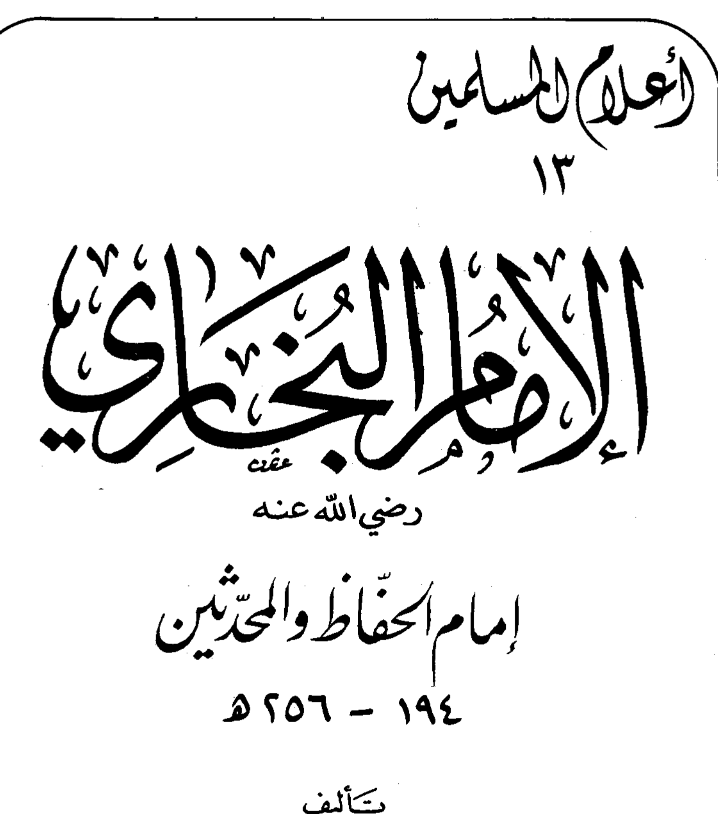
الدكتور تقي الدّين النّدوي المظاهري



دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

١٣



الإمام البخاري رضي الله عنه

إمام الحفّاظ والمحدّثين

١٩٤ - ٢٥٦ هـ

تأليف

تقي الدّين النّدْوي المظاهري

دار القلم
دمشق

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١

هٰـــذَا الرَّجُـــل

((ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل ـ اي البخاري ـ))
الإمام احمد بن حنبل

((لم ير البخاري مثل نفسه))
الإمام علي بن المديني (شيخ البخاري)

((لايبغضك إلا حاسد ، واشهد أن ليس في الدنيا مثلك))
الإمام مسلم ، وقد قاله للبخاري

((ماتحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من محمد بن إسماعيل))
الإمام ابن خزيمة

((شيخ الإسلام ، وإمام الحفاظ ، كان رأساً في الذكاء ، رأساً في العلم ، ورأساً في الورع والعبادة ، افردت مناقبه في جزء ضخم فيها العجب))
الإمام الذهبي

((... ولو فتحت باب الثناء عليـــه ممن تأخر عن عصره ، لفني القرطاس ، ونفدت الأنفاس ، فذلك بحر لا ساحل له))
الحافظ ابن حجر العسقلاني

عن محمد بن يوسف الفرَبري ـ راوية صحيح البخاري ـ قال : رأيت النبي ﷺ في النوم ، ففال : اين تريد ؟ قلت : أريد محمد بن إسماعيل ، ففال : اقرئه مني السلام .

تقـــدِيم

« للداعية الكبير العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومـن تبعهـم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن الجامع الصحيـح للامام محمـد بن إسماعيـل البخاري من الكتب التي هبت عليهـا نفحـة القبول والخـلود ، واعتنت به الأمة اعتناءً ينـدر نظيره في تاريـخ العلم والتأليـف في العصور الإسلامية . ومؤلفه أمير المؤمنين في الحديث ، ومـن أعلام الأمـة الذيـن غرس الله حبهم في القلوب والنفوس ، وسخر الأقلام والمواهب العلمية والطاقـات البشريـة لتسجيل مآثره ، وتخليد آثاره ، وذلـك كله لشـدة إخلاص الإمـام وتفانيـه في حفظ الحديث ونشره ، وعلو همتـه في ذلك وجهاده في سبيـله ، وهو من معاني التنضير الذي دعا به رسـول الله ﷺ للمعتنـين بأقواله ، وكلامـه ولوازمه وأبعـاده ، فقـد قـال : « نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً ، فبلّغه كما سمعه ، فرب مبلّغ أوعى من

سامع »(1) ، ومن كان نصيبه في هذا الوعي والنشر أكثر كان نصيبه من النضارة والبركة وبقاء الذكر واعتناء الناس بأحواله وآثاره وحبهم له أكثر وأعظم ، فالجزاء من جنس العمل .

وقد ألف الناس - قديماً وحديثاً - في سيرة الإمام البخاري وأخباره ، ومكانته في علم الحديث وخدمته له ، والتعريف بالجامع الصحيح ومكانته وما يمتاز به بين الكتب الست ، فضلاً عن كتب الحديث ودواوين السنة ، وشروط المؤلف والتزاماته ولطائفه، حتى تكونت من ذلك مكتبة يصعب استعراضها، ولكل عصر أسلوبه وحكمه ومقاييسه ، وقد كان ذلك في عصور سمت فيها همة المشتغلين بهذا العلم الشريف ، ودقت فهومهم ، ونفقت فيها سوقه ، وراجت بضاعته حتى غلبت على كل علم وفن، وجزى الله كل من ألف في هذا الموضوع لأبناء عصره وتوسع فيه ، فكان عصره يطلب ذلك ولا يقتنع بأقل منه .

ولما كان هذا العصر عصر السرعة والاختصار ، بل الاقتصار ، قد تقاصرت فيه الهمم وكثرت الشواغل ، وزهد

---

(1) رواه أحمد في المسند 1/437 والترمذي رقم (2659) في « العلم » باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، وابن ماجه رقم (232) في المقدمة ، باب من بلغ علماً ، وصححه ابن حبان رقم (74) و (75) موارد ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

الناس في الكتب الضخمة التي هي أشبه بالموسوعات ؛ مست الحاجة إلى كتاب متوسط أو وجيز يحتوي على المهمات في هذا الموضوع ، وخلاصة ما جاء في الكتب القديمة ، وإبراز جوانب تفيد الشباب المشتغلين بالعلم أكثر ، ولا تزهدهم في مطالعة الكتاب ، ولا يقدر على ذلك إلا من مارس صناعة الحديث واشتغل بتدريسه مدة ، وصحب الشيوخ الأجلاء،وتذوق أسلوب العصر الحديث وألمَّ بحاجة العصر .

وصاحب هذا الكتاب الذي هو بين يدي القراء فضيلة الشيخ تقي الدين الندوي من العلماء الذين يجدرون بالتأليف في هذا الموضوع ، فقد درَّس الجامع الصحيح مدة في دور العلم الكبيرة في الهند ، وألف كتباً في تاريخ علم الحديث وطبقات المحدثين وعلم الرجال ، واشتغل بالبحث والتأليف ، فقد أحسن بتأليف هذا الكتاب إلى الجيل الجديد الذي هو في حاجة إلى الاطلاع على آثار السلف وجهودهم ، ومدى إخلاصهم وجهادهم ، وعلو همتهم وعلو كعبهم في العلوم ، وسمو نظرهم وزهدهم في زخارف هذه الحياة ومتعها ، وعكوفهم على موضوعهم وانصرافهم إليه بالكلية ، وصبرهم وتناسيهم لكل ما يستوي ويغري ، وهو بذلك يستحق شكر كل من يريد لهذه الأمة الخير ، ولهذا الجيل الرشاد والسداد .

ابو الحسن علي الحسني الندوي

حرره في المدينة المنورة في ١٣٩٦/٥/١ هـ



المقـــدّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اما بعد :

فقد أنزل الله القرآن على رسوله الكريم ﷺ هدى للمتقين ، ودستوراً للمسلمين ، وشفاءً لصدور الذين أراد الله لهم الشفاء ، ونبراساً لمن أراد الله لهم الفلاح والضياء .

وهو مشتمل على انواع من الأغراض التي بعث الله من أجلها الرسل ، ففيه : التشريع والآداب، والترغيب والترهيب، والقصص والتوحيد ، وقد تلقاه المسلمون عن رسول الله ﷺ مشافهة في عصر الصحابة ، ونقل نقلاً متواتراً في العصور التالية ، وقد فرض الله على رسوله تبليغ كتابه إلى الناس وكلّفه بمهمة اخـرى ، وهي تبيين هذا الكتاب ، وشرح آياته ، وتفصيل مجمله ، وبيان ما أنزل إليه في الكتاب من قواعد عامة واحكام مجملة وغيرها .

قال الإمام الشاطبي (١) : فكانت السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني احكام الكتاب (٢) .

ولم يغادر الرسول ﷺ من أمور معاشهم ومعادهم صغيرة ولا كبيرة إلا وضع قواعدها ، وقرر أصولها ، وأضاء طريق الوصول إلى الحق فيها .

قال الله تعالى : ((وأنزلنا إليك الذكر لتبيّنَ للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون))(٣) .

ثم قرر الله تعالى أن طاعة رسوله طاعة له ، فقال : ((من يُطع الرسولَ فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً))(٤) .

ومن هنا كان المسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله ، فلا يمكن أن يفهم القرآن على

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، أصولي حافظ من أهل غرناطة ، كان من أئمة المالكية من كتبه «الموافقات» في أصول الفقه ، و « الاعتصام » توفي رحمه الله سنة (٧٩٠ هـ) .

(٢) الموافقات ج ٤ ص ١٠ .

(٣) [النحل : ٤٤] .

(٤) [النساء : ٨٠] .

حقيقته ، وأن يعلم مراد الله تعالى في كثير من آيات الأحكام فيه إلا بالرجوع إلى رسول الله ﷺ الذي انزل الله عليه الكتاب ليبين للناس ما نزّل إليهم من ربهم .

ولا خفاء بعد هذا في أن كتاب الله هو أصل دينه ، وأن سنة نبيه ـ قولية كانت أو فعلية ـ هي الموضّحة لأحكامه ، والمفصلة لإجماله ، والهادية إلى طرق تطبيقه ، فهما صنوان لا يفترقان ومنبعان للتشريع متعاضدان .

ومن عمل بالقرآن على غير المنهج الذي انتهجه الرسول ﷺ، لا يكون عاملاً بالقرآن ، ولقد تكفّل الله تعالى بحفظ كتابه وشرح معانيه بقوله : « إنّا نحن نزّلنا الذّكرَ وإنا له لحافظون »(١) .

فهيأ الله تعالى لحفظ سنة نبيه ﷺ من عني بحفظها من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان تارة في الصدور وأخرى في السطور (٢) .

ولقد بذل علماء هذه الأمة قصارى جهدهم في حفظ الحديث ، وبحثوا في كل ما يتعلق به رواية ودراية ، وخطَوْا خطوات جليلة

---

(١) [الحجر : ٩] .

(٢) وقد قال رسول الله ﷺ : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » وهو حديث حسن بطرقه .

في هذا المجال ، حفظت السنة الشريفة من العبث والضياع ، حتى صار هذا الأمر مبعث العجب والدهشة في التاريخ الاسلامي . قال المستشرق الألماني « اسبرنكر » ـ وهو من اعـداء الإسـلام ـ في مقدمته بالإنكليزية لكتاب « الإصابة » : « لم تكن فيما مضى أمـة من الأمم السالفة ، كما لا توجد الآن امة من الأمم المعاصرة ، أتت في علم اسماء الرجال بمثل ما اتى به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطير،الذي يتناول أحوال خمس مائة ألف رجل وشؤون حياتهم».

❋ ❋ ❋

وقبل اربع عشرة سنة (أي في ١٣٨١ هـ) وحينمـا كنت أستاذاً للحديث النبوي في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكهنؤ في الهند ، أمرني فضيلة الأستاذ الشيخ ابو الحسن علي الحسني الندوي ان أؤلف كتاباً جامعاً ، ادافع فيه عن السنة ، وأتناول فيه صلة السنة بكتاب الله العزيز ، وكتابة الحديث وتدوينه وشرحه ، وتراجم الأئمة الأربعة ، واصحاب الكتب الستة ، والإمام الطحاوي، وخصائص كتبهم وميزاتها ، وكذلك شروح هذه الكتب وخصائصها البـارزة (١) .

---

(١) من الجدير بالذكر أن علوم السنة وبالأخص الكتب الستة والموطأين وشرح معاني الآثار تدرس بعناية ودقة وتحقيق في كبرى مدارس الهند وباكستان الإسلامية .

وقد استجبت لرغبته ، وقمت بتأليف هذا الكتاب ، وأوردت فيه هذه النواحي بتفصيل ووضوح ، وابرزت معالمها ، وحينما كنت اتناول هذه الجوانب كان طلاب الجامعات واساتذتها وعلماؤهـا نصب عيني .

ولما علم أستاذي الكبير المحدث الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ـ حفظه الله ـ بقيامي بهذا العمل ، شجعني على إتمام هذا الكتاب ، فتم بحمد الله ، ونشر مرتين ولقي قبولاً حسنـاً لدى العلماء وطلبة العلم على حد سواء ، وذلك من فضل الله عز وجل ، وقد كتبت هذا الكتاب باللغة الأردية أصلاً ، ثم شرعت بترجمته إلى اللغة العربية ، فكان أول حلقة منه « الإمام أبو داود ومكانة كتابه السنن » ونشر هذا الكتاب الأخ العزيز الأستاذ عبد الحفيظ المظاهري صاحب « المكتبة الإمدادية » بمكة المكرمة .

وفي عام ١٩٧٣ م سافرت إلى القاهرة لخدمة كتاب « بـذل المجهود في حل أبي داود » ولقيني هناك الأخ الأستاذ محمد علي دولة ـ صاحب مكتبة دار القلم بدمشق ـ فطلب مني أن أؤلف كتاباً موجزاً دقيقاً في الإمام البخاري وصحيحه ، فقبلت طلبه ؛ خدمة للحديث الشريف ، وقمت بهذا العمل الذي أثمر هذا الكتاب ، والذي أصله كتابي السابق المؤلف باللغة الأردية .

هذا وإن لشيخنا المحدث الكبير محمد زكريا ـ ريحانة الهند وبركة العصر ـ مؤلفات عديدة حول السنة ، منها « لامع الدراري

على جامع البخاري » وعليه مقدمة ضافية كأنها موسوعة حـول الإمام البخاري وما يتعلق بالجامع الصحيح ، وقد استفدت منها كثيراً في كتابي مع حذف وزيادة ، وقد توخيت فيه الاختصار ، ليستفيد منه أكبر عدد ممكن من القـراء ، وليكون هـذا الكتاب مذكرة للمثقفين ونبراساً للعلماء والمدرسين،وقد جعلته في فصلين : الأول في حياة الإمام وطلبه للعلم ونشره له ، وفي حليته وفضائله ، والثاني في صحيحه : تأليفه ، ومكانته ، وفضائله .

هذا ، وارى من الواجب علي أن أتقدم بجزيل الشكر للعلامة المحدّث المحقق الفاضل الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ، محقق كتاب « جامع الأصول في أحاديث الرسول » وغيره من كتب الحديث، فقد قرأ هذا الكتاب قبل أن يقدم للطبعة الثانية وحقق وصوّب الكثير من مسائله ، وأضاف إليه إضافات علمية يستحق عليها كل ثناء جميل ، فجزاه الله على ما بذل من جهد خير الجزاء ، وبارك به في العاملين في حقل السنة النبوية .

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب طلبة العلم وأساتذة علم الحديث ، وأن يتقبل جهدي المتواضع ، وأن يوفقني لخدمة السنة النبوية ونشر العلوم الإسلامية وما ذلك على الله بعزيز ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تقي الدين الندوي المظاهري

خادم الحديث النبوي

الهند ــ يوم الجمعة ١٨ صفر ١٣٩٥ هـ

الفصل الأوّل

البُخاري

حياته وعلمُه - فضائِله وحِلْيته



البُخَاري

حيَاته وعلمُه - فضَائِله وحِليته

تمهيد (في عصر البخاري) :

عاش البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ معظم عمره في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، فقد ولد عام ١٩٤ هـ وتوفي عام ٢٥٦ هـ ، وكان العالم الإسلامي يومها تحت حكم العباسيين الذين اتخذوا بغداد عاصمة لحكمهم •

وحين ولد كانت دولة العباسيين في أوج مجدها ، فقد ترك « الرشيد » دولته بعدما توفي في عام ١٩٣ هـ على أحسن حال من القوة والهيبة ، والتقدم في كافــة المناحي ، واستمرت قوة الدولة في عهد أولاد الرشيد : الأمين والمأمون والمعتصم وابنه الواثق ؛ على الرغم مما حصل بين الأخوين : الأمين والمأمون من حروب ، وعلى الرغم من الثورات التي قامت على الدولة في ذلك العهد •• ومن مظاهر قوة الدولة يومها وقعة (عمورية) التي قادها المعتصم ، والتي سميت بـ « فتح الفتوح » •

وبوفاة الواثق سنة ٢٣٢ هـ ينتهي عهد القوة للدولة العباسية ، ويبدأ الضعف يدب في أوصالها ، وتبدأ تسير القهقرى، ويضعف فيها سلطان الخلفاء، وتنشأ في نواحيها الدول الانفصالية، ولقد عاصر الإمام البخاري في هذا العهد الخلفاء التالية أسماؤهم: المتوكل على الله ، المنتصر بالله ، المستعين بالله ، المعتز بالله ، المهتدي بالله ، والمعتمد على الله ، وفي عهد هذا الأخير توفي البخاري ، وخسرت فيه الأمة رجلاً من أعظم رجالات الإسلام عبر تاريخه الطويل .

ولئن عاش البخاري رحمه الله عصراً سياسياً ابتدأ قوياً ثم ضعف ، فقد عاش عصراً علمياً رائعاً جليلاً ، نمت فيه العلوم الإسلامية نمواً عظيماً ، وأصبح للعلم فيه حواضر كثيرة في كافة العالم الإسلامي لا سيما بغداد .

فلقد نمت المذاهب الفقهية الأربعة ، ودونت ، وأصبح معظم الناس أتباعاً لها . ونمت علوم القرآن لا سيما التفسير ، وألفت الكتب الكثيرة في السيرة النبوية والمغازي والتاريخ ، والطبقات ، وأسست علوم العربية خدمة للقرآن الكريم ، كما أن سيول الثقافة الأجنبية قد انصبت على المجتمع المسلم ، ووجدت تشجيعاً عظيماً ، لا سيما في عهد الخليفة المأمون ، وترجمت الكثير من الكتب للغة العربية .

أما علوم الحديث ، فقد بلغت في عصر البخاري دورها الذهبي ، وكان هو ــ رحمه الله ــ رائداً في إفراد الحديث

الصحيح في كتاب خاص ، وتمييزه عن غيره من الأحاديث ، ولقد سبق عصره مدونات حديثية هامة ، منها موطأ مالك ، ومسند أحمد ، ومصنف عبد الرزاق ، وغيرها ، وهذه جمعت الأحاديث المختلفة في مرتبتها ، بيد أن تخصيص الحديث الصحيح في مؤلف خاص ابتدأ بالبخاري رحمه الله كما أشرنا •

ولقد كثر العلماء الحفاظ والمحدثون وكثر طلاب الحديث كثرة هائلة ، وعاش في ذلك العصر أعلام محدثي هذه الأمة ، كأحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأبي داود ، وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم •

ولم يخلُ هذا العصر من هَنَات أساءت للعلم والعلماء ، ويأتي في قمتها « مسألة خلق القرآن » تلك المسألة التي ابتدعها المعتزلة ، وأقنعوا بها المأمون والمعتصم ، وامتحن بسببها نفر من العلماء ، أصابهم الأذى الشديد ، والبلاء المبين ، حتى كشف الله الغمة ، بفضل ثبات الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله •

هذه كلمة موجزة جداً في عصر البخاري ، أردنا منها إعطاء القارىء فكرة موجزة عن ذلك العصر ، لا سيما في ناحيتيه : السياسية والعلمية ، ننتقل بعدها إلى الحديث عن إمامنا البخاري رحمه الله •

نسبه

هو أمير المؤمنين في الحديث ، الإمام المقدام ، أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل ، بن إبراهيم ، بن المغيرة ، بن بردزبه[1] ، كان جده بردزبه فارسياً على دين قومه ومات على المجوسية ، وأسلم ابنه المغيرة على يد اليمان الجعفي[2] والي بخارى[3] فنسب إليه ولاءً[4] فمن ثَمَّ قيل في نسبه الجعفي .

أما جده إبراهيم فلم نقف على شيء من أخباره .

---

(١) بردزبه : بفتح الباء الموحدة ، وسكون الراء ، وكسر الدال بعدها زاي ساكنة ، قيل : معناه بالفارسية « الزارع » وهذا هو المشهور في ضبطه ، وقيل غير ذلك ، مقدمة فتح الباري (ج ٢ ص ١٩٣ ط المنيرية) .

(٢) جعفي : أبو قبيلة من اليمن ، وهو جعفي بن سعد العشيرة .

(٣) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام ، وهي من الإقليم المعروف بتركستان الغربية ، ومن مدن هذا الإقليم سمرقند وفرغانة وطاشقند ، وهي تحت الحكم الروسي الآن ، وإلى بخارى نسب الإمام .

(٤) ولاء إسلام لا ولاء عتق ، عملاً بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص فولاؤه له ، والولاء نوع من الروابط التي جعلها الإسلام لتوثيق عرى الوحدة وتأكيد الأخوة بين المسلمين .

وأما أبوه إسماعيل فكان عالماً جليلاً ، سمع من حماد بن زيد[1] والإمام مالك[2] ، وروى عنه العراقيون ، وذكر له ابن

---

(١) هو : حماد بن زيد ، بن درهم ، الأزدي الجهضمي ، مولاهم ، البصري ، أبو إسماعيل : شيخ العراق في عصره ، ومن حفاظ الحديث المجودين ، قال عبد الرحمن بن مهدي : « أئمة الناس في زمانهم أربعة : سفيان الثوري بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعي بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة » .

وقال الإمام احمد : « هو من ائمة المسلمين » اصله من سبي سجستان ، ومولده ووفاته في البصرة ، وكان ضريراً طرأ عليه العمى ، وخرّج حديثه الأئمة الستة .

مولده ٩٨ هـ وفاته ١٧٩ هـ .

(٢) هو : مالك بن انس بن مالك الأصبحي الحميري ، ابو عبد الله : إمام دار الهجرة ، وأحد ائمة المذاهب الأربعة ، وإليه تنسب المالكية . مولده ووفاته بالمدينة المنورة ، كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك ، وجه إليه الرشيد ليأتيه فيحدثه ، فقال: يا امير المؤمنين ، العلم يؤتى إليه ولا يأتي ، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار ، فقال مالك : يا امير المؤمنين ، إن من إجلال رسول الله إجلال العلم ، فجلس بين يديه فحدثه . قال البخاري : اصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر ، صنف كتاب « الموطأ » فجمع فيه طائفة من الأحاديث .

مولده ٩٣ هـ وفاته ١٧٩ هـ .

حبان[1] ترجمة في « كتاب الثقات » ، وترجم له الإمام البخاري في « التاريخ الكبير »، وقد جمع والده إلى العلم الورع والتقوى، روي عنه أنه قال عند وفاته :

(لا أعلم في مالي درهماً في حرام ولا في شبهة)

فالإمام البخاري من بيت علم ودين وورع ، فلا عجب أن ورث هذه الخلال الكريمة فيما ورث عن أبيه .

مولده ونشأته

اتفقوا على أن الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ ولد بعد صلاة الجمعة ، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ، سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة ببلدة بخارى ، فما يخالف ذلك من الأقوال فهو شاذ ، لأن الجمع من العلماء قالوا بذلك .

وقد مات أبوه وهو صغير ، فكفلته أمه وأحسنت تربيته ، وقد كان له من مال أبيه الذي تركه له ما أعانها على تنشئته نشأة

---

(1) هو : محمد بن حبان ، بن أحمد ، بن حبان ، بن معاذ ، ابن معبد التميمي ، أبو حاتم البستي ، مؤرخ ، علامة ، جغرافي ، محدث ، ولد في بست من بلاد سجستان ، وتنقل في الأقطار ، وتولى قضاء سمرقند مدة ، وهو أحد المكثرين من التصنيف . قال ياقوت الحموي : « أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره»،وكانت الرحلة في خراسان إلى مصنفاته » من كتبه : « صحيح ابن حبان » « الثقات » « معرفة المجروحين من المحدثين » « علل أوهام أصحاب التواريخ » « الصحابة » « كتاب التابعين » «روضة العقلاء »وغيرها.

وفاته : ٣٥٤ هـ .

كريمة صالحة . وقد لاحظته العناية الإلهية من صغره ، فقد روي أن البخاري ذهبت عيناه في صغره ، فرأت والدته الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في المنام ، فقال لها : « يا هذه ، قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك » فأصبح وقد رد الله عليه بصره ، فتبدل حزنها سروراً .

نبوغه المبكر

وقد ظهر نبوغه في صغره وهو في الكتّاب ، فرزقه الله سبحانه قلباً واعياً ، وحافظة قوية ، وذهناً وقّاداً ، وأُلهم حفظ الحديث ، فأخذ منه بحظ كبير ولما يبلغ العاشرة من عمره . ثم صار يختلف إلى علماء عصره ، وأئمة بلده ، فأخذ عنهم وصار يراجعهم ويناقشهم ، وما إن بلغ السادسة عشرة حتى حفظ كتب عدد من الأئمة ، وعرف كلام أهل الرأي وأصولهم ومذاهبهم .

قال الفربري[1] : سمعت محمد بن أبي حاتم — ورّاق البخاري — يقول : سمعت البخاري يقول :

---

(١) هو : محمد بن يوسف ، راوية صحيح البخاري . قال النووي : روينا عن الفربري أنه قال : « سمع الصحيح من البخاري سبعون ألف رجل ، فما بقي أحد يرويه غيري » ونسبته إلى : فربر بكسر الفاء وفتح الراء وسكون الباء : قرية ببخارى ، قال ياقوت في « معجم البلدان » : وقد فتح بعضهم الفاء والذي في « اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير الفربري،بفتح الفاء والراء وسكون الباء.
مولده ٢٣١ هـ وفاته ٣٢٠ هـ .

أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكتَّاب • قلت : وكم أتى عليك إذ ذاك ؟ فقال : عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتَّاب بعد العشر ، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره ، فقال يوماً فيما يقرأ للناس : سفيان ، عن أبي الزبير ، عن إبراهيم ، فقلت له : إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم ، فانتهرني ، فقلت له : ارجع إلى الأصل إن كان عندك ، فدخل فنظر فيه ، ثم رجع فقال : كيف هو يا غلام ؟ فقلت : هو الزبير وهو ابن عدي عن إبراهيم ، فأخذ القلم وأصلح كتابه ، وقال لي : صدقت ، فقال له إنسان : ابن كم كنت حين رددتَ عليه ؟ فقال : ابن إحدى عشرة سنة ؛ قال : فلما طعنتُ في ست عشرة حفظت كتب ابن المبارك[1] ووكيع[2] ،

---

(١) هو : عبد الله بن المبارك ، بن واضح ، الحنظلي بالولاء ، التميمي ، المروزي ، أبو عبد الرحمن ، الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف ، والرحلات ، أفنى عمره في الأسفار ، حاجاً ومجاهداً وتاجراً ، وجمع الحديث والفقه وأيام الناس والشجاعة والسخاء . من كتبه : « الجهاد » و « الزهد والرقائق » وقد طبعا . مولده « مرو » في خراسان سنة ١١٨ هـ . ووفاته بـ «هيت» على الفرات،منصرفه من غزو الروم سنة ١٨١هـ .

(٢) هو : وكيع بن الجراح ، بن مليح الرؤاسي ، أبو سفيان : حافظ ، كان محدث العراق في عصره ، أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعاً ، قال فيه الإمام أحمد : « ما رأيت أحداً أوعى منه ولا أحفظ ، وكيع إمام المسلمين » .

مولده ١٢٩ هـ بالكوفة ، وفاته ١٩٧ هـ .

وعرفت كلام هؤلاء ـ يعني أصحاب الرأي ـ . قال : ثم خرجت مع أمي وأخي[1] إلى الحج .

رحلته في طلب العلم

أتم البخاري ـ رحمه الله ـ سن السادسة عشرة وهو في بلده ، وبعدها بدأت رحلته الطويلة في طلب العلم ، والتي ابتدأها بحجه إلى بيت الله الحرام بصحبة أمه وأخيه أحمد ، وكان أسن منه ، ورجع أخوه إلى بخارى فمات بها ، وأقام هو بمكة مجاوراً يطلب العلم . وقد استوعبت هذه الرحلة بقية عمره المبارك ، وطاف فيها على معظم مراكز العلم والحديث في العالم الإسلامي الواسع في ذلك الوقت ، وأتعب جسمه وأضناه ، وعرّض نفسه للمخاطر والأهوال ، في سبيل جمع الحديث النبوي ، ونشره بين المسلمين .

ولم يكن البخاري ـ رحمه الله ـ أول من رحل في هذا السبيل ، فقد سبقه إلى ذلك أئمة أعلام ورجال كرام ، ابتداءً من عهد الصحابة رضي الله عنهم وإلى عهده ، واستمرت الرحلة فيما بعد في رجال هذه الأمة وعلمائها .

---

(1) هذا هو الصحيح ، وما في الكرماني : « حج به أبوه . . الخ » تحريف من الناسخ ، أو زلة قلم من المؤلف .

وقبل الحديث عن رحلة البخاري الطويلة في طلب العلم أحب أن أتحف القارىء الكريم ببعض أخبار من سبقه في الرحلة في طلب الحديث .

بدأت الرحلة في طلب العلم في جيل الصحابة ، فرحل جابر ابن عبد الله[1] إلى عبد الله بن أنيس[2] في الشام ، واستغرق في سفره شهراً ليستمع منه حديثاً واحداً ، لم يكن جابر قد سمعه عن النبي ﷺ[3] .

---

(١) هو : جابربن‌عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي‌الأنصاري السلمي : صحابي كبير ، وأبوه عبد الله بن عمرو صحابي استشهد في غزوة أحد ، من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ ، غزا تسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ ، وجاهد بعد رسول الله ﷺ ، واشتغل بنشر العلم في المسجد النبوي الشريف .

مولده ١٦ هـ ق وفاته ٧٨ هـ .

(٢) هو : عبد الله بن أنيس ، أبو يحيى ، من بني وبرة ، من قضاعة : صحابي ، من القادة الشجعان ، من أهل المدينة ، كان حليفاً لبني سلمة ، قاد بعض السرايا في العصر النبوي ، رحل إلى مصر وافريقيا ، وتوفي بالشام سنة ٥٤ هـ .

(٣) الجامع الصحيح للبخاري ٢٩/١ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٩٣/١ .

ورحل جابر إلى مصر للقاء مسلمة بن مخلد[1] وسؤاله عن حديث بلغه عنه ، فلما أخبره رجع[2] .

ورحل أبو أيوب الأنصاري[3] إلى عقبة بن عامر[4] بمصر فلما لقيه قال : حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المسلم ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك ، فلما حدثه ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائداً إلى المدينة المنورة وما حل رحله[5] !!

---

(١) هو : مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاري الخزرجي : من كبار الأمراء في صدر الإسلام ، ولاه معاوية إمارة مصر ثم أضاف إليها المغرب ، فأقام بمصر ، وسير الغزاة إلى المغرب في البر والبحر ، توفي في الاسكندرية سنة ٦٢ هـ .

(٢) المحدث الفاضل للرامهرمزي ١/ق ١٨ و ١ .

(٣) هو : خالد بن زيد ، بن كليب ، بن ثعلبة ، أبو أيوب الأنصاري النجاري ، صحابي شهد العقبة وبدراً وأحداً وسائر المشاهد ، وكان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد ، نزل النبي ﷺ في بيته بعد وصوله للمدينة ، وأقام عنده حتى بنى المسجد . توفي وهو في غزو القسطنطينية في خلافة معاوية ، وقبره في القسطنطينية التي أصبح اسمها استانبول . وفاته سنة ٥٢ هـ .

(٤) هو : عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني : أمير ، من الصحابة ، حضر فتح مصر ، وولاه معاوية عليها سنة ٤٤ هـ . وعزل عنها سنة ٤٧ هـ وولي غزو البحر ومات بمصر سنة ٥٨ هـ . كان شجاعاً ، فقيهاً ، شاعراً ، قارئاً ، من الرماة ، وهو أحد من جمع القرآن .

(٥) جامع بيان العلم ١/٩٣ ـ ٩٤ وانظر « الكفاية » للبغدادي ٤٠٢ .

ورحل رجل من الصحابة إلى فضالة بن عُبيد [1] بمصر ، فلما قدم إليه قال له : أما إني لم آتك زائراً ولكني سمعت أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم[2] .

وقال عبد الله بن مسعود[3] : « لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته »[4] .

وقد استمرت الرحلة في جيـل التابعين وتوسعت ، لأن أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرقوا في الأمصار ، يحملون معهـم

---

(١) هو : فضالة بن عبيد ، بن نافذ ، بن قيس ، الأنصاري الأوسي ، أبو محمد : صحابي ، ممن بايع تحت الشجرة ، شهـد أحداً وما بعدها ، وشهد فتح الشام ومصر ، وسكن الشام ، وولي الغزو والبحر بمصر ، ثم ولاه معاوية قضاء الشام ، وتوفي فيها سنة ٥٣ .

(٢) سنن الدارمي : ١/١٣٨ .

(٣) هو : عبد الله بن مسعود ، بن غافل ، بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي من أكابرهم ، فضلاً وعقلاً ، وقرباً من النبي ﷺ ، من السابقين إلى الإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله ﷺ ورفيقه في حله وترحاله وغزواته ، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه ، ولي في عهد عمر بيت مال الكوفة ، وتوفي في خلافة عثمان سنة ٣٢ هـ . نظر إليه عمر يوماً فقـال : « وعاء مليء علماً » .

(٤) جامع بيان العلم ١/٩٤ .

العلم ، فما كان ليتيسر للرجل أن يحيط علماً بحديث رسول الله ﷺ دون رحلة في الأمصار ولقاء الصحابة المتفرقين فيها . يقول سعيد بن المسيب[1] : « إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام »[2]

ورحل الحسن البصري[3] من البصرة إلى الكوفة في مسألة[4] .

---

(١) هو : سعيد بن المسيب ، بن حزن ، بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد : سيد التابعين ، واحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته . مولده ١٣ هـ وفاته ٩٤ هـ .

(٢) جامع بيان العلم : ١/٩٤ .

(٣) هو : الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ ، وشب في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب ، وكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة لائم . قال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، وكان غاية في الفصاحة ، تتصبب الحكمة من فيه ، وله مع الحجاج مواقف ، وقد سلم من أذاه . توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

(٤) الكفاية : ٤٠٢ .

وأقام أبو قلابة[1] في المدينة ثلاثة أيام ما له حاجة إلا رجل كانوا يتوقعون قدومه كان يروي حديثاً ، فأقام حتى قدم الرجل وسأله عن الحديث[2] .

وقال بسر بن عبيد الله [3] : « إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه »[4] .

وخرج عامر الشعبي[5] إلى مكة في ثلاثة أحاديث ذكرت

---

(١) هو : عبد الله بن زيد البصري ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وطلب للقضاء فتهرب منه وتغرب ، قدم الشام وبها مات رحمه الله عام ١٠٤ هـ .

(٢) سنن الدارمي : ١/١٣٦ .

(٣) هو : بسر بن عبيد الله الحضرمي الشامي ، روى عن واثلة وعمرو بن عبسة ورويفع بن ثابت وأبي إدريس الخولاني وغيرهم ، ذكره ابن حبان في الثقات، وهو أحفظ أصحاب أبي إدريس الخولاني.

(٤) سنن الدارمي : ١/١٣٦ وجامع بيان العلم ١/٩٥ .

(٥) هو : عامر بن شراحيل ، الشعبي الحميري ، أبو عمرو ، من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة ، اتصل بعبد الملك بن مروان ، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم ، وسئل عما بلغ إليه حفظه ، فقال : ما كتبت سوداء في بيضاء ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ، من رجال الحديث الثقات .

مولده سنة ١٩ هـ وفاته ١٠٣ هـ .

له ، على أمل أن يلقى أحد الصحابة هناك فيسأله عنها [١] .

وحدّث الشعبي رجلاً بحديث ثم قال له : « أعطيناكها بغير شيء ، قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة »[٢] .

وعن أبي العاليــة الرياحي[٣] قال : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم »[٤] .

إن علماء التابعين ــ وهم يعدون بالمئات ــ جابوا البلاد ، وجالوا خلال الديار ، وطووا الصحارى والمفاوز ، وشدوا الرحال إلى أصحاب رسول الله ﷺ .

قال الإمام الجليل مكحول الشامي[٥] عن رحلته العلمية :

---

(١) المحدث الفاصل / ق ١٨ و ١ .

(٢) الجامع الصحيح للبخاري : ١/٣٥ .

(٣) هو : رفيع بن مهران ، أبو العالية الرياحي ، مولاهم البصري ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين ، ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر ، من رواة الحديث الثقات ، مات سنة ٩٣ هـ .

(٤) سنن الدارمي ١/١٣٦ والكفاية ص ٤٠٢ .

(٥) هو : مكحول بن أبي مسلم ، أبو عبد الله ، الهذلي بالولاء : فقيه الشام في عصره ، من حفاظ الحديث ، أصله من فارس ، ←

« عتقت بمصر ، فلم أدع بها علماً إلا حويته فيما أرى ، ثم أتيت العراق ثم المدينة فلم أدع بهما علماً إلا حويته فيما أرى ، ثـم أتيت الشام فغربلتها »[1] .

وكان في عهد التابعين شغف كبير بعلم الحديث وطلبه ، حتى ربما يكون في البلد الواحد ألوف من طلاب علم الحديث .

قال محمد بن سيرين[2] : قدمت الكوفة وبها أربعة آلاف يطلبون الحديث[3]



→

ومولده بكابل ، ترعرع بها وسبي ، وصار مولى لامرأة بمصر من هذيل ، فنسب إليها ، وأعتق ، وتفقه ، ورحل في طلب الحديث إلى بلاد عديدة ، واستقر في دمشق وتوفي بها سنة ١١٢ هـ . قال الزهري : لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا .

(١) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) هو : محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، أبو بكر : إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، تابعي ، من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة ، وتفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا . مولده ٣٣ هـ وفاته ١١٠ هـ .

(٣) تدريب الراوي ص ٢٢٥ .

واتسع نطاق الرحلة في طلب العلم في القرنين الثاني والثالث.

ويقدم الرامهرمزي[1] قائمة بأسماء المحدثين الذين رحلوا في الأقطار ، ورتبهم على الطبقات ، فذكر من رحلوا إلى عدة أقطار ، ثم ذكر من قصد ناحية واحدة للقاء من بها من العلماء ، وهذه الأقطار هي مراكز الثقافة الإسلامية آنذاك .

وقد أدرك العلماء أهمية الرحلة ، روي عن يحيى بن معين[2] أنه قال : « أربعة لا تؤنِس منهم رشداً ، منهم رجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث »[3] .

---

(١) هو : محمد بن الحسن ، بن عبد الرحمن ، بن خلاد ، الفارسي ، أبو محمد ، الرامهرمزي ، نسبة إلى (رام هرمز) مدينة مشهورة بنواحي « خوزستان » القاضي ، الحافظ ، عاش إلى قريب ٣٦٠ هـ . من مؤلفاته في علوم الحديث : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي .

(٢) هو : يحيى بن معين ، بن عون ، بن زياد المري بالولاء ، البغدادي ، أبو زكريا : من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله ، نعته الذهبي بسيد الحفاظ ، وقال الحافظ ابن حجر : إمام الجرح والتعديل ، وقال أحمد بن حنبل : أعلمنا بالرجال .

مولده ١٥٨ هـ وفاته ٢٣٣ هـ .

(٣) فتح المغيث للسخاوي ٨٦/٢ .

وقال إبراهيم بن أدهم[1] : « إن الله يدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث »[2] .

قال أحمد بن حنبل[3] : طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف، لأن أصحاب عبد الله بن مسعود كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة ، فيتعلمون من عمر[4] ويسمعون منه ، قال

---

(١) هو : إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمي البلخي ، أبو إسحاق ، زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، تفقه ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، كان يعيش من عمل يده ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم . مات سنة ١٦١ هـ .

(٢) فتح المغيث ٨٦/٢ .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله ، الشيباني الوائلي ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة ، ولد ببغداد ، ونشأ منكباً على طلب العلم ، وسافر في سبيله أسفاراً كثيرة ، امتحن أيام المأمون والمعتصم بمسألة خلق القرآن ، وثبت ثبات الجبال ، ثم أكرمه الخليفة المتوكل بن المعتصم . أشهر مؤلفاته « المسند » في ستة أجزاء كبيرة .
مولده ١٦٤ هـ وفاته ٢٤١ هـ .

(٤) هو : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وثاني الخلفاء الراشدين ، الصحابي الجليل ، والخليفة العادل ، الشجاع الحازم ، صاحب الفتوحات ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وعز المسلمون بإسلامه ، وبعد الهجرة شهد مع النبي ﷺ سائر المشاهد .
بويع بالخلافة سنة (١٣ هـ) بعهد من أبي بكر رضي الله عنه ،
←

النووي[1] : ولهذا استحبت الرحلة[2] .

وقد كان الراحلون يلتذون في الرحلة ، فهذا رجل وفد إلى يزيد بن هارون[3] من حران[4] ينشد :

←

وفي أيامه فتحت الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجريرة ، وهو أول من وضع للمسلمين التاريخ الهجري ، واتخذ بيت مال للمسلمين ، ودون الدواوين ، مناقبه كثيرة ، وأفرد فيه المؤلفون الكثير من الكتب ، مات شهيداً سنة ٢٣ هـ .

(١) هو : يحيى بن شرف ، بن مري ، بن حسن ، الحزامي ، الحوراني ، النووي ، الشافعي ، أبو زكريا : شيخ الإسلام وعمدة الفقهاء والمحدثين ، ولد بنوى ، وانتقل إلى دمشق واستقر بها سافر في آخر عمره إلى بلده نوى،وزار القدس والخليل ثم رجع إلى نوى ، فمرض عند أبويه ، وتوفي بها ، كان مجتهداً في تحصيل العلم والتأليف فيه ، ورعاً ، عابداً ، كثير التصنيف ، ومن مؤلفاته : رياض الصالحين ، شرح صحيح مسلم ، روضة الطالبين ، المنهاج ، المجموع .

مولده ٦٣١ هـ وفاته ٦٧٦ هـ .

(٢) تدريب الراوي ص ٢٩٥ .

(٣) هو : يزيد بن هارون ، بن زاذان ، بن ثابت ، السلمي بالولاء ، الواسطي ، أبو خالد ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان واسع العلم ، ذكياً ، كبير الشأن ، أصله من بخارى ، ومولده ووفاته بواسط ، وكان يحضر مجالسه الألوف .

مولده ١١٨ هـ وفاته ٢٠٦ هـ .

(٤) حران : هي حران الجزيرة ، وهي الاراضي الممتدة بين دجلة والفرات ، مدينة قديمة ، كانت قصبة ديار مضر ، وهي اليوم في تركيا .

أقبلت أهوي على حيزوم طاوية ٍ
في لجة اليم لا ألوي على سَكَنِ
حتى أتيت إمام النـاس كلّهـم
في الدين والعلم والآثار والسننِ
أبغي به الله لا الدنيـا وزخرفهـا
ومـن تغنَّى بديـن الله لا يهـنِ
يا لذة العيش لمّـا قلتُ حدّثنـا
عوفٌ وبشرٌ عن الشعبي والحسن[1]

وكان للرحلة أثر كبير في شيوع الحديث وتكثير طرقه ، كما كان لها أثر في معرفة الرجال بصورة دقيقة ، لأن المحدّث يذهب إلى البلدة ، فيتعرف على علمائها ويخالطهم ويسألهم . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني[2] : صفة الرحلة بحيث يبتدىء

---

(١) المحدث الفاصل ٢/ق ١٨ و ٢ .

(٢) هو : أحمد بن علي ، بن محمد ، الكناني ، العسقلاني ، أبو الفضل ، شيخ الإسلام ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، ولع بالأدب والشعر ، ثم أقبل على الحديث ، ورحل إلى البلاد لسماعه ، وعلت شهرته ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره ، قال السخاوي : « انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر » ولي قضاء مصر مرات ، تصانيفه كثيرة أشهرها : « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » ، « الإصابة في تمييز الصحابة » ، « تهذيب التهذيب » .

مولده ٧٧٣ هـ وفاته ٨٥٢ هـ .

بحديث بلده فيستوعبه ، ثم يرحل فيحصل في الرحلة ما ليس عنـــده .

وبعد هذا التمهيد عن الرحلة في طلب الحديث ، نعـــود إلى مقصودنا ، فنتحدث عن رحلة هـــذا الإمام العظيم في طلب الحديث ، واقتفائه أثر من سبقه من الأئمة الذين نذروا حياتهم لخدمة سنة المصطفى ﷺ .

خروجه إلى الحرمين

قال الذهبي[1] وغيره : كان أول سماعه سنة خمس ومائتين، ورحل سنة عشر ومائتين بعد أن سمع الكثير ببلده مـــن سادة وقته ، ففي سنة عشر ومائتين خرج إلى بيت الله الحرام حاجاً هو وأمه وأخوه أحمد ــ وكان أسنّ منـــه ــ وقد رجع أخوه إلى بخاري ، أما هو فقد آثر القيام بمكة ، وكانت مكة مـــن أهم

---

(١) هو : محمد بن أحمد ، بن عثمان ، بن قايماز ، الذهبي شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ ، مؤرخ ، علامـــة محقق ، تركماني الأصل ، مولده ووفاته في دمشق ، رحـــل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المائة ، منها : تاريخ الإسلام الكبير ، سير أعلام النبلاء ، تذكرة الحفاظ ، ميزان الاعتدال .

مولده ٦٧٣ هـ وفاته ٧٤٨ هـ .

المراكز العلمية في الحجاز ، وقد وجد طلبته وما يشبع نهمه للعلم والمعرفة ، وكان يذهب إلى المدينة حيناً بعد حين •

وفي الحرمين الشريفين ألف بعض مؤلفاته ، ووضع أساس الجامع الصحيح وتراجمه ، قال البخاري : فلما طعنت في ثماني عشرة صنفت كتاب « قضايا الصحابة والتابعين » ثم صنفت « التاريخ الكبير » إذ ذاك في المدينة المنورة عند قبر النبي ﷺ وكنت أكتبه في الليالي المقمرة ، قال : وقلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أني كرهتُ أن يطول الكتاب •

قال البخاري : دخلت على الحُميدي[1] وأنا ابن ثماني عشرة سنة ـ يعني أول سنة بعد حجه ـ فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث ، فلما بصر بي ، قال : جاء من يفصل بيننا فعرضا الخصومة ، فقضيت للحميدي وكان الحق معه •

قال الحافظ[2] : أول رحلته بمكة سنة عشر ومائتين ، قال : ولو رحل أول ما طلب لأدرك ما أدرك أقرانه من طبقة عالية •

---

(١) هو : عبد الله بن الزبير ، الحميدي ، الأسدي ، أبو بكر : أحد الأئمة في الحديث ، من أهل مكة ، رحل منها مع الإمام الشافعي إلى مصر ، ولزمه إلى أن مات ، فعاد إلى مكة يفتي بها ، وهو شيخ البخاري ، وروى عنه ٧٥ حديثاً ، توفي بمكة سنة ٢١٩ هـ .

(٢) هو : الحافظ ابن حجر ، وقد مرت ترجمته في الصفحة ٣٦ ، وحيثما قلنا : الحافظ ، فهو ابن حجر رحمه الله .

ارتحاله إلى الآفاق

ضرب الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في باب الارتحال لطلب الحديث بسهم راجح ، وقلّ قطر من أقطار الإسلام إلا وله إليه رحلة .

قال البخاري : دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة[1] مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين .

قال الخطيب : رحل البخاري إلى محدّثي الأمصار ، وكتب بخراسان[2] والجبال ومدن العراق كلها ، والحجاز والشام ومصر ، وورد بغداد دفعات .

قال الحافظ : ارتحل بعد أن رجع من مكة إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها ، وذكر

---

(١) الجزيرة : الأراضي الممتدة بين دجلة والفرات ، وكان فيها ديار مضر وديار بكر ، سميت الجزيرة لأنها تقع بين دجلة والفرات. وهي تقع الآن في سوريا والعراق وتركيا .

(٢) خراسان : بلاد واسعة ، تقع اليوم في الشمال الشرقي من إيران ، وفي جنوب الاتحاد السوفياتي ، وفي غرب أفغانستان .

الذهبي فيهـا بلْخ[1] ونيسابور[2] ، والري[3] ، وبغـداد ، والبصـرة ، والكوفة ، والمدينـة ، وواسط[4] ، ودمشق ، وعسقلان[5] ، وحمص ، وغيرها .

ولقد ذكر الحاكم أبو عبد الله[6] هذه البلاد المذكورة التي رحل إليها الإمام البخاري وقال : فقد رحل البخاري إلى هذه البلاد المذكورة في طلب العلم ، وأقام في كل ذلك على مشايخها .

---

(١) بلخ : مدينة شهيرة بخراسان ، وهي اليوم في أفغانستان .

(٢) نيسابور : مدينة من مدن خراسان الكبيرة ، وهي مدينة علمية تاريخية عظيمة ، كانت عاصمة السلاجقة ، وهي الآن في إيران .

(٣) الري : مدينة مشهورة في إيران ، خربت ، وهي بالقرب من طهران عاصمة إيران .

(٤) واسط : مدينة بين البصرة والكوفة .

(٥) عسقلان : مدينة بفلسطين بين غزة وبيت جبرين ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

(٦) هو : محمد بن عبد الله ، بن حمدويه ، بن نعيم الضبي ، الطهماني النيسابوري ، الشهير بالحاكم ، ويعرف بابن البيِّع أبو عبد الله ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه . مولده ووفاته بنيسابور (٣٢١ هـ ـ ٤٠٥ هـ) أخذ العلم عن نحو ألفي شيخ ، وتجول في البلاد ، أشهر مؤلفاته «المستدرك على الصحيحين» وهو مطبوع .

اجتماعه بالإمام أحمد

كانت بغداد في حياة البخاري بلد الخلافة وموئل العلم والعلماء ، لذا تردد إليها ودخلها ثماني مرات . وفي كل مرة كان يجتمع بالإمام أحمد فيحثه على الإقامة ببغداد ويلومه على كثرة الاقامة بخراسان . ويشكل على هذا ما في كتاب النكاح من « فتح الباري » في « باب ما يحل من النساء » ؛ فقد قال الحافظ : ليس للمصنِّف في هذا الكتاب عن أحمد رواية إلا في هذا الموضع ، وآخر في المغازي بواسطته ، وكأنه لم يكثر البخاري عنه ، لأنه في رحلته القديمة لقي كثيراً من مشايخ أحمد ، فاستغنى بهم ، وفي رحلته الأخيرة كان أحمد قطع التحديث ، فكان لا يحدث إلا نادراً ، فمن ثمّ أكثر البخاري عن علي بن المديني[1] دون أحمد بن حنبل[2] .

شيوخه

رحل الإمام البخاري إلى المراكز المهمة التي حوت كبار المحدثين في بلاد المسلمين ، واستفاد من الشيوخ الذين هم محل

---

(١) هو : علي بن عبد الله ، بن جعفر السعدي بالولاء ، المديني البصري ، أبو الحسن ، محدث ، مؤرخ ، كان حافظ عصره ، وقد أكثر من المصنفات ، وهو من شيوخ البخاري ، وكان البخاري يهابه ولد بالبصرة سنة ١٦١ هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٣٤ هـ .

(٢) انظر فتح الباري ١٣٢/٩ .

الثقة والأمانة • روي عنه أنه قال : « كتبت عن ألف وثمانين نفساً، ليس فيهم إلا صاحب حديث » وقال أيضاً : « لم أكتب إلا عمن قال : الإيمان قول وعمل » •

قال الحافظ : وينحصرون في خمس طبقات :

الأولى : من حدثه عن التابعين يعني « أتباع التابعين » •

الثانية : من كان في عصر هؤلاء ، لكن لم يسمع من ثقات التابعين •

الثالثة : وهي الوسطى من مشايخه ، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ من كبار تبع الأتباع •

الرابعة : رفقاؤه في الطلب ، ومن سمع قبله قليلاً • وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه أو مالم يجده عند غيرهم •

الخامسة : قوم في عداد طلبته في السن والاسناد ، سمع منهم للفائدة وروى عنهم أشياء يسيرة ، وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبي شيبة[1] عن وكيع ، قال : « لا يكون

---

(١) هو : عثمان بن محمد ، بن أبي شيبة ، الكوفي العبسي ، أبو الحسن : من حفاظ الحديث ، رحل من الكوفة إلى مكة والري وبغداد ، وصنف « المسند » و « التفسير » وكان ثقة مأموناً .

مولده ١٥٦ هـ وفاته ٢٣٩ هـ .

الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه » • وعن البخاري أنـه قال : « لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه » • وذكر الحافظ أسماء هذه الطبقات الخمس •

هذا وإن عدد شيوخه الذين خرّج عنهـم في الصحيح ٢٨٩ شيخاً •

تلاميـذه

أخذ عنه الحديث خلق كثير" وفي كل بلدة حدّث بهـا • قال الفربري : سمع كتاب البخاري منه سبعون ألف رجل •

من أعيانهم : الترمذي[١] ، والنسائي[٢] ، ومسلم بـن

---

(١) هو : محمد بن عيسى ، بن سورة ، الترمذي ، أبو عيسى، من أئمة علماء الحديث وحفاظه ، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه ، ورحل في طلب الحديث ، وعمي في آخر عمره ، مات بترمذ . مولده ٢٠٩ ووفاته ٢٧٩ هـ من مؤلفاته « الجامع الكبير » المسمى بسنن الترمذي و « الشمائل المحمدية » •

(٢) هو : أحمد بن شعيب ، النسائي ، الإمام ، الحافظ ، صاحب السنن ، رحل في طلب الحديث ، وروى عن شيوخ كثيرين، استوطن مصر ، ومات بالرملة ، ودفن في بيت المقدس •

مولده ٢١٥ ووفاته ٣٠٣ هـ •

الحجاج[1] وابن خزيمة[2] ، وأبو زرعة الرازي[3] وأبو حاتم الرازي[4] ، وغيرهم .

---

(١) هو : مسلم بن الحجاج ، بن مسلم ، القشيري ، النيسابوري ، أبو الحسين : حافظ ، من أئمة الحديث ، ولد بنيسابور ، ورحل في طلب الحديث ، وتوفي في نيسابور ، أشهر كتبه « الجامع الصحيح » وقد تتلمذ للبخاري رحمه الله وكان يجله ويعظمه .

مولده ٢٠٤ هـ وفاته ٢٦١ هـ .

(٢) هو : محمد بن إسحاق ، بن خزيمة ، السلمي ، أبو بكر ، إمام نيسابور في عصره ، كان فقيهاً مجتهداً ، عالماً بالحديث ، مولده ووفاته بنيسابور ، رحل إلى العراق والشام والجزيرة ومصر ، لقبه السبكي ب « إمام الأئمة » مصنفاته كثيرة .

مولده ٢٢٣ هـ وفاته ٣١١ هـ .

(٣) هو : عبيد الله بن عبد الكريم ، بن يزيد ، بن فروخ ، المخزومي بالولاء ، أبو زرعة الرازي : من حفاظ الحديث الأئمة ، من أهل الري ، زار بغداد وحدث بها ، وجالس احمد بن حنبل ، قيل فيه : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل . توفي بالري .

مولده ٢٠٠ هـ وفاته ٢٦٤ هـ .

(٤) هو : محمد بن ادريس ، بن المنذر ، بن داود ، بن مهران ، الحنظلي ، أبو حاتم : حافظ للحديث ، من اقران البخاري ومسلم ، ولد في الري وإليها نسبته ، وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم ، وتوفي ببغداد .

مولده ١٩٥ هـ وفاته ٢٧٧ هـ .

سعة حفظه

رُزق الإمام البخاري حافظة قوية ، وذاكرة عجيبة ، ولم يكن له نظير في ذلك في زمانه ، حكاياته في سرعة حفظه وقوته بلغت حدّ التواتر ، حتى اعترف له مصنفو « دائرة المعارف الإسلامية » بذلك وقالوا : « إن الإمام في حفظه آية من آيات الله في الأرض » ، قيل : إنه كان يحفظ وهو صبيّ سبعين ألف حديث سرداً . وروي أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظ ما فيه من نظرة واحدة .

وقال محمد بن أبي حاتم – ورّاقه – : سمعت حاشد بن إسماعيل [1] وآخر يقولان : كان البخاري يختلف معنا إلى السماع وهو غلام ، فلا يكتب ، حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له : إنك تختلف معنا ولا تكتب ، فلمناك فيما تصنع ! فقال لنا – بعد ستة عشر يوماً – : إنكما أكثرتما عليّ ، فاعرضا عليّ ما كتبتما ، فأخرجنا إليه ما كان عندنا ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلبه ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ، ثم قال : أترون أني أختلف هدراً ، وأضيع أيامي ، فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد ، قالا : فكان أهل المعرفة يغدون خلفه

---

(١) هو : حاشد بن إسماعيل البخاري ، الحافظ ، محدث الشاش ، أحد أئمة الأثر ، وله رحلة واسعة ، مات سنة ٢٦١ هـ .

في طلب الحديث ـ وهو شاب ـ ويغلبونه على نفسه ، ويجلسونه في بعض الطريق ، فيجتمع عليه ألوف ، أكثرهم ممن يكتب عنه ، وكان شاباً .

وقال محمد بن أبي حاتم : سمعت سليمان بن مجاهد يقول : كنت عند محمد بن سلام البيكندي [1] فقال لي : لو جئت قبلُ لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث ، قال : فخرجت في طلبه فلقيته ، فقلت : أنت الذي تقول : أنا أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم وأكثر ، ولا أجيئك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثاً منها من حديث الصحابة والتابعين ـ يعني من الموقوفات ـ إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال ورّاقه : قدم رجاء الحافظ [2] فقال لأبي عبد الله :

---

(١) هو : محمد بن سلام (بالتخفيف) بن فرج ، السلمي بالولاء ، البخاري ، أبو عبد الله البيكندي : من حفاظ الحديث ، رحال جوال ، كان محدث « ما وراء النهر » ـ نهر جيحون ـ يحفظ خمسة آلاف حديث ، وهو من الثقات ، ومن شيوخ البخاري ، نسبته إلى بيكند ، بقرب بخارى .

مولده ١٦٠ هـ وفاته ٢٢٥ هـ .

(٢) هو : رجاء بن مرجّى، الحافظ العلم، أبو محمد المروزي . قال الخطيب : كان ثقة إماماً في علم الحديث ، وفي حفظه والمعرفة به . قال البخاري : مات ببغداد سنة تسع واربعين ومائتين .

ما أعددت لقدومي حين بلغك ؟ وفي أي شـيء نظرت ؟ قـال : ما أحدثت نظراً ولا استعددت لذلك ، فإن أحببت أن تسأل شيئاً فافعل ، فجعل يناظره في أشياء ، فبقي رجاء لا يدري ، ثم قال البخاري : هل لك في زيادة ؟ فقال ــ استحياءً منه وخجلاً ــ : نعم ، ثم قال : سل إن شئت ، فأخذ في أسامي أيوب ، فعد نحواً من ثلاثة عشر ، وأبو عبد الله ساكت ، فظن رجاء أنه قد صنع شيئاً ، فقال : يا أبا عبد الله فاتك خير كثير ، فزيف أبو عبد الله في أولئك سبعة ، وأغرب عليه أكثر من ستين رجلاً ، ثم قال لرجاء : كـم رويت في العمامة السوداء ؟ قال : هات كم رويت أنت ؟ قـال : أروي فيها أربعين حديثاً ، فخجل رجاء ويبس ريقه .

وقال البخاري ــ رحمه الله ــ : أحفظ مائـة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح ، وأخرجت هذا الكتاب ــ يعني الجامع الصحيح ــ من نحو ستمائة ألف حديث [1] . وقال : دخلت بلْخ فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه ، فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ. وقال : تذاكرنا يوماً في أصحاب أنس ، فحضرني في ساعة ثلاث مائة نفس .

وقـال ورّاقه : سمعت البخاري يقول : كنت في مجلس

---

(١) المراد بها الأسانيد لا المتون .

الفريابي[1] ، فسمعته يقول : حدثنا سفيان عن أبي عروة ، عن أبي الخطاب ، عن أبي حمزة[2] ، أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في غسل واحد ، فلم يعرف أحد في المجلس أبا عروة ، ولا أبا الخطاب ، ولا أبا حمزة ، فقلت : أما أبو عروة فمعمر بن راشد ، وأما أبو الخطاب فقتادة ، وأما أبو حمزة فأنس بن مالك وكان الثوري فعولاً لذلك ، يكنّي المشهورين •

امتحانه في سمرقند

قال محمد بن أبي حاتم بسنده عن أبي الأزهر : كان بسمرقند[3] أربع مائة ممن يطلبون الحديث ، فاجتمعوا سبعة

---

(1) هو : محمد بن يوسف ، بن واقد ، الضبي بالولاء ،التركي الأصل ، أبو عبد الله الفريابي، من الحفاظ ، أخذ بالكوفة عن سفيان الثوري ، وقرىء عليه بمكة ، نزل قيسارية (بفلسطين) وتوفي بها ، روى عنه البخاري ٢٦ حديثاً .
مولده ١٢٠ هـ وفاته ٢١٢ هـ .

(2) أبو حمزة هو : أنس بن مالك النجاري ، الخزرجي ، الأنصاري ، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً ، أسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض ثم رحل إلى دمشق ، ومنها إلى البصرة ، فمات فيها ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة .
مولده ١٠ ق هـ وفاته ٩٣ هـ .

(3) سمرقند بلد مشهور في جمهورية أزبكستان من الاتحاد السوفياتي اليوم ، شرقي بخارى .

أيام ، وأحبوا مغالطة البخاري ، فأدخلوا إسناد الشام في إسناد العراق ، وإسناد العراق في إسناد الشام ، وإسناد الحرم في إسناد اليمن ، فما استطاعوا مع ذلك أن يتعلقوا عليه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن .

امتحانه في بغـداد

قال أحمد بن عدي الحافظ: سمعت عدة من المشايخ يحكون: أن البخاري قدم بغداد ، فاجتمع أصحـاب الحديث وعمـدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيـدها ، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتن لمتـن آخر ، ودفعـوا إلى كل واحد عشر أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس امتحانـاً ، فاجتمع الناس من الغرباء من أهل خراسان وغيرهـم ، ومـن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة فقال : لا أعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا أعرفه . فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد ، حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه . فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومـن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة ، فسأله عن حديث مـن تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عـن آخر ، فقال : لا أعرفه ، فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد آخر حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه .

ثم انتدب إليه الثالث والرابع إلى تمام العشرة ، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخاري لا يزيدهم على قولـه : « لا أعرفه » .

فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول ، فقلت كذا ، وصوابه كذا ، وحديثك الثاني ، قلت كذا ، وصوابه كذا ، حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه . وفعل بالآخرين مثل ذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ، وأسانيدها إلى متونها ، فأقرّ الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل .

قال الحافظ : **هنا يخضع للبخاري ، فما العجب مـن رده الخطأ إلى الصواب ، فإنه كان حافظاً ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة .**

درسه في البصرة

قال يوسف بن موسى المروزي : كنت في « جامع البصرة » فسمعت منادياً ينادي أهل العلم : لقد قدم البخاري ، فسألناه بأن يعقد مجلس الإملاء ، فأجاب بأن يجلس غداً في موضع كذا . فلما كان من الغد حضر المحدثون والحفاظ والفقهاء والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألف نفس ، فجلس البخاري للإملاء ، فقال قبل أن يأخذ في الإملاء: يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتموني

أن أحدثكم ، فسأحدثكم أحاديث عن أهل بلدتكم تستفيدونها ـ يعني ليست عندكم ـ فتعجب الناس من قوله ، فأخذ في الإملاء، فقال : حدثنا عبد الله بن عثمان العتكي بلديكم ، قال : أخبرنا أبي عن شعبة ، عن منصور وغيره ، عن سالم بن أبي الجعد[1] ، عن أنس رضي الله عنه ، أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله : الرجل يحب القوم ... الحديث . ثم قال : هذا ليس عندكم عن منصور ، إنما هو عندكم عن غير منصور ، فأملى مجلساً على هذا النسق ، يقول في كل حديث : روى فلان هـذا الحديث ، وليس عندكم كذا ، فأما رواية فلان التي يسوقها فليست عندكم .

اعتراف علماء عصره بحفظه وثناؤهم عليه

عاش البخاري رحمه الله في عصر اجتمع فيه أئمة أعلام ومحدثون كبار ، انتشروا في سائر العالم الإسلامي ، ومن فضل الله على هذا الإمام أن جميع أئمة عصره قد عرفوا فضله وعظموه ، وعرفوا أنه يفوقهم في حفظه وفهمه ، فأثنوا عليه الثناء الطيب البليغ ، ومن عاصره في شبابه تنبأ له بالنبوغ والرفعة ، فكان كما قالوا . وإلى القارىء بعض أقوالهم فيه :

---

(١) هو : سالم بن أبي الجعد : رافع الأشجعي ، مولاهم الكوفي روى عن عدد من الصحابة ، تابعي من الثقات ، مات سنة مائة هـ .

قال البخاري : كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب [1] يقول : بيّن لنا غلط شعبة . وقال : قال لي محمد بن سلام البيكندي : انظر في كتبي ، فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه ، فقال له بعض أصحابه : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا الذي ليس مثله . وكان يقول : كلما دخل عليّ البخاري تحيرت ولا أزال خائفاً منه ـ يعني يخشى أن يخطىء بحضرته ـ .

وقال أبو بكر المديني : كنا يوماً عند إسحاق بن راهويه[2] والبخاري حاضر ، فمرّ إسحاق بحديث ودون صحابيه عطاء الكيخاراني[3] ، فقال له إسحاق : يا أبا عبد الله إيش هذا

---

(١) سليمان بن حرب ، الأزدي ، أبو أيوب ، البصري ، سكن مكة وكان قاضيها ، من شيوخ البخاري ، روى عنه ١٢٧ حديثاً . قال أبو حاتم : إمام من الأئمة .
مولده ١٤٠ هـ وفاته ٢٢٤ هـ .

(٢) هو : إسحاق بن إبراهيم ، بن مخلد ، الحنظلي التميمي المروزي ، أبو يعقوب بن راهويه ، عالم خراسان في عصره ، من سكان (مرو) قاعدة (خراسان) أحد كبار الحفاظ ، طاف البلاد وأخذ عن أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي . قال الخطيب : اجتمع له : الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد . مولده ١٦١ هـ وفاته ٢٣٨ هـ .

(٣) هو : عطاء بن نافع الكيخاراني ، تابعي ثقة ، روى عن عدد من الصحابة .

كيخاران ؟ قال : قرية باليمن ، كان معاوية[1] رضي الله عنه بعث هذا الصحابي إلى اليمن ، فسمع منه عطاء هذا حديثين ، فقال له إسحاق : كأنك شهدت القوم .

وقال فتح بن نوح النيسابوري : أتيت علي بن المديني ، فرأيت البخاري جالساً عن يمينه ، وكان إذا حدث التفت إليه مهابة له .

وقال أبو عمرو الخفاف أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري: لم أر مثله ــ يعني البخاري ــ وهو أعلم بالحديث من أحمد وإسحاق وغيرهما بعشرين درجة ، ومن قال فيه شيئاً ، فعليه مني ألف لعنة ، وقال أيضاً : لو دخل من الباب وأنا أحدث لملئت منهُ رعباً .

وقال قتيبة بن سعيد [2] : لو كان محمد بن إسماعيل في الصحابة لكان آية .

---

(١) هو : معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ، بن أمية ، ابن عبد شمس ، بن عبد مناف ، القرشي الأموي : مؤسس الدولة الأموية في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار ، كان فصيحاً حليماً وقوراً ، من أصحاب النبي ﷺ ، ومن كتاب رسول الله ﷺ ، وهو أحد عظماء الفاتحين في الاسلام ، له ١٣٠ حديثاً .

مولده ٢٠ ق هـ وفاته ٦٠ هـ .

(٢) هو : قتيبة بن سعيد، بن جميل، الثقفي بالولاء ،أبو رجاء: من أكابر رجال الحديث ، من شيوخ البخاري ومسلم ، روى عنه البخاري ٣٠٨ أحاديث ومسلم ٦٦٨ حديثاً .

مولده ١٥٠ هـ وفاته ٢٤٠ هـ .

وقال بندار (محمد بن بشار)[1] : هو أفقه خلق الله في زماننا .

وقال أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراسان مثل محمد ابن إسماعيل .

وقال البخاري : ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني ، وربما كنت أغرب عليه . قال حامد بن أحمد : فذكر هذا الكلام لعلي بن المديني ، فقال : ذروا قوله ، ما رأى مثل نفسه .

وشهد له إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة فقال : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل .

وروى الحاكم بسنده أن مسلماً صاحب الصحيح جاء إلى البخاري فقبّله بين عينيه ، وقال : دعني حتى أقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله .

أما ثناء من جاؤوا بعده فيكفي فيه قول الحافظ ابن حجر : ولو فتحت باب الثناء عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس ، ونفدت الأنفاس ، فذلك بحر لا ساحل له .

---

(1) هو : محمد بن بشار ، بن عثمان ، بن داود ، بن كيسان ، العبدي البصري ، أبو بكر ، المعروف ببندار ، من شيوخ البخاري ومسلم ، روى عنه البخاري ٢٠٥ أحاديث ومسلم ٤٦٠ حديثاً وبندار في الأصل : من بيده القانون ، وهو أصل ديوان الخراج وقيل له : بندار ، لأنه كان بنداراً في الحديث ، جمع حديث بلده .

منهبه الفقهي

اختلف أهل العلم في مسالك أئمة الحديث ، فبعضهم عدوهم كلّهم من المجتهدين ، وآخرون جعلوهم من المقلدين . أما الإمام البخاري فمن المعروف أنه شافعي ، ولذا عــده السبكي[1] في « طبقات الشافعية » والنواب صديق حسن خان [2] في « أبجد العلوم » في عدادهم . وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : إن

---

(١) هو : عبد الوهاب بن علي ، بن عبد الكافي السبكي ، أبو نصر ، قاضي القضاة ، المؤرخ الباحث ، ولد في القاهرة وانتقل إلى دمشق مع والده ، فسكنها وتوفي بها ، كان طلق اللسان ، قوي الحجة ، انتهى إليه قضاء القضاة في الشام ، جرت عليه محــن وشدائد عظيمة ، من كتبه « طبقات الشافعية الكبرى » .

مولده ٧٢٧ هـ وفاته ٧٧١ هـ .

(٢) هو : صدّيق بن حسن ، بن علي ، بن لطف الله ، الحسيني البخاري ، القنوجي أبو الطيب : مــن رجال النهضة الإسلامية المجددين ، حصل على العلم في دهلي ، ثم ارتحــل إلى (بهوبال) وتزوج بملكتها ولقب بـ « نواب عالي الجاه أمير الملك بهادر » وسافر إلى الحجاز وحج وأخذ عن علماء اليمن من تلاميذ الشوكاني ، أكثر التصنيف حتى أربت مؤلفاته على الستين .

مولده ١٢٤٨ هـ وفاته ١٣٠٧ هـ .

البخاري في جميع ما يورده في تفسير الغريب ، إنما ينقله من أهل ذلك الفن كأبي عبيد[1] والنضر بن شميل[2] والفرّاء[3] وغيرهم،

---

(١) هو القاسم بن سلاّم الهروي الأزدي الخـزاعي بالولاء الخرساني البغدادي أبو عبيد من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه من أهل هراة ، ولد وتعلم بها ، وكان مؤدباً ، ولي القضاء بطرطوس ثماني عشرة سنة،ورحل إلى مصر وإلى بغداد،وحج فتوفي بمكة ، له مؤلفات كثيرة منها : «الفريب المصنف» في غريب الحديث، وهو اول من صنف في هذا الفن .

مولده ١٥٧ هـ وفاته ٢٢٤ هـ .

(٢) هو : النضر بن شميل ، بن خرشة ، بن يزيـد المازني التميمي ، ابو الحسن : احد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ، ولد بمرو وانتقل إلى البصرة مع ابيه سنة ١٢٨ فأقام زمنـاً ، وعاد إلى مرو فولي قضاءها واتصل بالمأمون فأكرمه وقربه .

مولده ١٢٢ هـ وفاته ٢٠٣ هـ .

(٣) هو : يحيى بن زياد ، بن عبد الله ، بن منظور الديلمي ، مولى بني اسد ، أبو زكريا ، المعروف بالفراء ، إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب . وكان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو ، عهد إليه المأمون بتربية ابنيـه ، كان فقيهاً متكلماً إلى جانب تقدمه في اللغة .

مولده ١٤٤ هـ وفاته ٢٠٧ هـ .

وأمّا المباحث الفقهية فغالبها مستمدة له من الشافعي [1] وأبي عبيـــد .

وقال الشيخ ابن القيم[2] في « إعلام الموقعين » : البخاري ومسلم وأبو داود[3] والأثرم[4] وهذه الطبقة من أصحاب أحمد ،

---

(١) هو : محمد بن إدريس ، بن العباس ، بن عثمان ، بـن شافع الشافعي ، الهاشمي القرشي المطلبي ، ابو عبد الله ، احـد الأئمة الأربعة المشهورين ، برع في الفقه ، ووضع علم الأصول ، وبرع في الشعر والأدب ، كان ذكياً مفرطاً ، ذا عقل كبير ، وكان من احذق الناس بالرمي ، يصيب من العشرة عشرة .

اشهر مؤلفاته : الأم ، الرسالة ، أحكام القرآن ، وغيرها .

مولده ١٥٠ هـ وفاته ٢٠٤ هـ .

(٢) هو : محمد بن أبي بكر ، بن أيوب ، بن سعد ، الزرعي الدمشقي ، أبو عبد الله شمس الدين ، من كبار العلماء ، والتلميذ الأول لابن تيمية ، الف كتباً كثيرة منها : إعلام الموقعين ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، روضة المحبين .

مولده ووفاته بدمشق ٦٩١ هـ ــ ٧٥١ هـ .

(٣) هو : سليمان بن الأشعث ، بن إسحاق ، بن بشيـر ، الأزدي ، السجستاني ، أبو داود ، إمام أهل الحديث في زمانه ، أصله من سجستان ، رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة ، له كتاب « السنن » وهو أحد كتب الحديث الستة .

مولده ٢٠٢ هـ وفاته ٢٧٥ هـ .

(٤) هو : ابو بكر احمد بن محمد بن هانىء الإسكافي الأثرم ، الحافظ الكبير صاحب الإمام احمد بن حنبل ، له كتاب في « علل الحديث » وآخر في السنن ، توفي رحمه الله سنة ٢٦١ هـ .

أتبع له من المقلدين المحض ، المنتسبين إليه ، وكـذا ذكر هؤلاء الثلاثة ابن أبي يعلى[1] في « طبقات الحنابلة » .

وقال الشيخ طاهر الجزائري[2] في « توجيه النظر » : أما البخاري وأبو داود ، فإمامان في الفقه ، وكانا من أهل الاجتهاد .

وقـال أستاذنا المحدث الكبـير الشيخ محمـد زكريا الكاندهلوي[3] حفظه الله : والأوجه عندي أن الإمـام البخاري

---

(١) هو : محمد بن محمد (أبو يعلى) بن الحسين ، بن محمد ، أبو الحسين بن الفراء ، المعروف بابن أبي يعلى ، مؤرخ ، من فقهاء الحنابلة ، ولد ببغداد ، ومات بها . من كتبه : « طبقات الحنابلة » و « المجرد في مناقب الإمام احمد » .
مولده ٤٥١ هـ وفاته ٥٢٦ هـ .

(٢) هو : طاهر بن صالح ، بن أحمد ، بن موهوب ، السمعوني الجزائري ، ثم الدمشقي : بحاثة ، من أكابر العلماء باللغة والأدب ، أصله من الجزائر ، مولده ووفاته في دمشق ، ساعد على إنشـاء « دار الكتب الظاهرية » في دمشق وأصبح مديراً لها ، وكان عضواً من أعضاء المجمع العلمي العربي . له نحو عشرين مصنفاً .
مولده ١٢٦٨ هـ وفاته ١٣٣٨ هـ .

(٣) هو : الشيخ محمد زكريا ، بن محمد يحيى ، الكاندهلوي، الهندي ، كبير علماء المسلمين بالحديث في الهند في الوقت الحاضر ، ونزيل المدينة المنورة . له كتب كثيرة . ولد عام ١٣١٥ هـ مد الله في عمره وأمتع به .

مجتهد مستقل ، كما يظهر من إمعـان النظر في الصحيح ؛ فإن إيراداته في فروع الشافعية ليست بأقل مـن إيراداته في فروع الحنفية ، إلا أنـه إذا أورد على الحنفية يشدد الكلام لعوارض معلومة بخلاف غيرهم من الأئمة •

فإن قلت : إن الإمام الترمذي تلميذ الإمام البخاري وهو ينقل في كتابه مذاهب الأئمة ، ولكن لم ينقل مذهب الإمام البخاري إلا في موضع واحد وهو في « باب الاقتداء بالإمام » ، فيظهـر أنه لم يكن مجتهداً مستقلاً • فالجواب أن مذهب الإمام البخاري انقرض واندرس ولم يكن له مقلدون ، ولذلك لم ينقل مذهبه[1] •

سعة اطلاعه على العلل

كما شهد له أهل عصره بالتقدم عليهم في حفظ الأحاديث ، كذلك شهدوا له بمعرفة الأسانيد ، الصحيـح منها والضعيف ، ومعرفة الرجال ونقدهم وتعديلهم ، فقال فيـه الإمام الترمذي : لم أر في العلل والرجال أعلم من البخاري •

قال الحافظ أحمد بن حمدون : رأيت البخاري في جنازة

---

(١) انظر اختيارات الإمام البخاري الـدالة على اجتهـاده في ترجمته «حياة البخاري» للشيخ جمال الدين القاسمي علاّمة الشام رحمه الله من صفحة (١٦ ــ ١٩) •

ومحمد بن يحيى الذهلي[1] يسأله عن الأسماء والعلل ، والبخاري يمرّ فيه كالسهم ، كأنه يقرأ قل هو الله أحد .

وقال البخاري : ما جلست للتحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم ، وحتى نظرت في كتب أهل الرأي ، وقال : لا أعلم شيئاً يحتاج إليه إلا هو في الكتاب والسنة ، فقيل له : ويمكن معرفة ذلك ؟ قال : نعم .

تحرّيه في النقد

قال الحافظ : وللبخاري في كلامه على الرجال توقٍّ زائد ، وتحرٍّ بليغ لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل ، فإن أكثر مايقول: سكتوا عنه ، فيه نظر ، تركوه ، ونحو هذا .

وقلّ أن يقول : كذّاب أو وضّاع ، وإنما يقول : كذبه فلان ، رماه فلان ـ يعني بالكذب ـ .

والبخاري رحمه الله يخشى الله في ذلك فهو يقول : « لا يكون لي خصم في الآخرة » . وقد قال له بعضهم : الناس ينقمون عليك « التاريخ » يقولون فيه اغتياب الناس فقال : إنما روينا ذلك

---

(١) هو : محمد بن يحيى ، بن عبد الله ، الذهلي ، النيسابوري أبو عبد الله ، من حفاظ الحديث ، من شيوخ البخاري ، روى عنه ٣٤ حديثاً ، ولحق البخاري منه أذى .

مولده ١٧٢ هـ وفاته ٢٥٨ هـ .

رواية ولم نقله من عند أنفسنا . وقد قال النبي ﷺ : بئس أخو العشيرة [1] .

حرصه على الحديث

قال ورّاقه : كان البخاري إذا كنت معه في سفر جمعنا في بيت واحد ـ إلا في القيظ ـ فكنت أراه يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة ، في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري ناراً بيده ، ويسرج ، ويخرّج أحاديث ، فيعلّم عليها ، ثم يضع رأسه ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك كل هذا ولاتوقظني، قال : أنت شاب ، لا أحب أن أفسد عليك نومك .

وقال ورّاقه : سمعت البخاري يقول : ما نمت البارحة حتى عددت كم أدخلت في تصانيفي من الحديث ، فإذا هو نحو مائتي

---

(1) هو جزء من حديث رواه البخاري ٣٧٨/١٠ و ٣٧٩ في الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفاحشاً ، ومسلم رقم (٢٥٩١) في البر والصلة ، باب مداراة من يتقي فحشه ، من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة ، وبئس ابن العشيرة ، فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه ، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ! فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة متى عهدتيني فاحشاً ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه . واللفظ للبخاري .

ألف حديث ، فقلت له : هل من دواء للحفظ ؟ فقال : لا أعلم شيئاً أنفع للحفظ من نهمة الرجل ومداومة النظر •

جهاده في طلب الحديث

إن ما رزقه الإمام البخاري من حب رسول الله ﷺ والتفاني في تحصيل الحديث ، هو الذي سهّل له أن يقطع المفاوز والقفار في سبيل العلم ، كأنه أشرب في دمه وقلبه الحديث ، عاش به وعاش فيه ، لذلك تحمل الجوع والفقر في طلبه • قال وراقه : سمعته يقول : خرجت إلى آدم بن أبي إياس[1] ، فتأخرت نفقتي حتى جعلت أتناول الحشيش ، فلما كان اليوم الثالث أتاني رجل لا أعرفه ، فأعطاني صرة فيها دنانير •

صفاتـه

كان البخاري رحمه الله نحيف الجسم ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان زاهداً في الدنيا ، ورث عن أبيه مالاً كثيراً ، فكان يتصدق به ، وكان قليل الأكل جداً ، مفرّداً في الجود ، يقال : كان يقنع كل يوم بلوزتين أو ثلاث • ومرض البخاري مرة فعرضوا ماءه على الأطباء فقالوا : إن هذا الماء يشبه ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون ، فصدقهم البخاري •

---

(١) هو : شيخ البخاري الإمام الزاهد أبو الحسن الخراساني المروزي ثم العسقلاني ، آدم بن أبي إياس ، وهو ثقة مأمون متعبد ، من خيار عباد الله ، مات رحمه الله سنة ٢٢٠ هـ .

قال ورّاقه : ركبنا يوماً إلى الرمي ونحن بفِربر[1] ، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفرضة ، فجعلنا نرمي فأصاب سهم أبي عبد الله وتد القنطرة التي على النهر ، فانشق الوتد ، فلما رأى ذلك نزل عن دابته ، فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي ، وقال : ارجعوا ، فرجعنا ، فقال لي : يا أبا جعفر ، إن لي إليك حاجة ــ وهو يتنفس الصعداء ــ فقلت : نعم ، قال : تذهب إلى صاحب القنطرة ، فتقول له : إنا أخللنا بالوتد ، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه ، وتجعلنا في حِلٍّ مما كان منا ، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر ، فقال لي : أبلغ أبا عبد الله السلام ، وقل له : أنت في حلٍّ مما كان منك ، فإن جميع ملكي لك الفداء ، فأبلغته الرسالة ،فتهلل وجهه وأظهر سروراً كثيراً ، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمس مائة حديث وتصدق بثلاث مائة درهم .

إجادته للرمي

وقد تعلم البخاري الرمي وحذقه . قال وراقه : كان يركب إلى الرمي كثيراً ، فما أعلم أني رأيته في طول ما صحبته أخطأ سهمه الهدف إلا مرتين ، بل كان يصيب في كل ذلك ،

---

(١) فربر : بلدة بين جيحون وبخارى ، وكانت رباطاً يقصده المجاهدون المسلمون ، ومن جملتهم البخاري رحمه الله ، وقد خرج منها جماعة من العلماء منهم الفربري راوية صحيح البخاري .

زهده وورعه

قال البخاري ـ رحمه الله ـ : ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة حرام ! وكان يقول : إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً .

وكان البخاري في منزله ، فجاءته جارية وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه ، فقال لها : كيف تمشين ؟قالت: إذا لم يكن طريق كيف أمشي، فبسط يديه ، وقال : اذهبي ، فقد أعتقتك ، قيل له : يا أبا عبد الله أغضبتك ؟ فقال : أرضيت نفسي بما فعلتُ .

وحكى ورّاقه : أنه ورث من أبيه مالاً جليلاً ، وكان يعطيه مضاربة ، فقطع له غريم خمسة وعشرين ألفاً ، فقيل له استعن بكتاب الوالي فقال : إن أخذت منهم كتاباً طمعوا ، ولن أبيع ديني بدنياي ، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم وذهب ذلك المال كله . وحمل إليه بضاعة أنفذها إليه أبو حفص ، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية ، وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال : انصرفوا الليلة ، فجاء من الغد تجار آخرون ، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم ، فردهم وقال : إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين ، فدفعها إليهم ، وقال : لا أحب أن أنقض نيتي .

ولا يسبق ، وكان غرضه الدفاع عن الإسلام وقتال الكفار الذين يتربصون به الدوائر •

شغفه بتلاوة القرآن

كان البخاري ــ رحمه الله ــ إذا كان أول ليلة من رمضان يجتمع إليه أصحابه ، فيصلي بهم ، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وهكذا إلى أن يختم القرآن ، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال • وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة ، ويقول : عند كل ختمة دعوة مستجابة •

قال الدارمي[1] :

« إذا قرأ محمد بن اسماعيل القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه ، وتفكر في امثاله ، وعرف حلاله من حرامه » •

توقيره للقرآن

قال ورّاقه : دعي محمد بن إسماعيل إلى بستان ، فصلى بهم الظهر ثم قام يتطوع ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه ،

---

(١) هو : عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ، بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي ، أبو محمد ، من حفاظ الحديث ، رحل إلى بلاد كثيرة ، وكان عاقلاً فاضلاً مفسراً فقيهاً .

مولده ١٨١ هـ وفاته ٢٥٥ هـ .

وقال لبعض من معــه : اظر هل ترى تحت قميصي شيئاً ؟ فإذا زنبور قد لسعه في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً ، وقد تورّم من ذلك جسده ، فقال بعض القوم : كيف لم تخرج من الصلاة أول مالسعك ؟ قال : كنت في سورة أحببت أن أتمها • كذا في القسطلاني • وفي مقدمة الفتح : لسعه الزنبور سبع عشرة مرة ، بدون شك •

حسن ادبه بالمساجد

قال الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي السليماني البيكندي : سمعت علي بن محمد بن منصور يقول : سمعت أبي يقول : كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري ، فرفع إنسان من لحيته قذاة ، وطرحها إلى الأرض ، قال : فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس ، فلما غفل الناس رأيته مدّ يده ، فرفع القذاة من الأرض فأدخلها في كمه ، فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها وطرحها على الأرض ، فكأنه صان المسجد عما تصان عنه لحيته •

اشعــاره

لم يكن الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ شاعراً ، ولكنــه كان أحياناً ينظم الأبيات • أخرج الحاكم في « تاريخه » مــن شعره قوله :

اغتنم في الفراغ فَضْل ركوع   فعسى أن يكون موتك بغتــه
كم صحيح رأيت من غير سقم   ذهبت نفسه الصحيحة فلتــه

قال الحافظ : قلت : وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك أو قريباً منه ، كما سيأتي في ذكر وفاته .

ولما نُعي إليه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ أنشد:

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم وبقاء نفسك لا أبالك أفجع

سمته وهديه

قال النجم بن الفضل : رأيت النبي ﷺ في المنام ومحمد بن إسماعيل خلفه ، فكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺ ويتبع أثره .

وقال ورّاقه : كان معه شيء من شعر النبي ﷺ ، فجعله في ملبوسه .

ما حدث بينه وبين الذهلي

قدم البخاري نيسابور سنة خمسين ومائتين ، فاستقبله أهل نيسابور بحفاوة وتجمل عظيم ، ووصف الإمام مسلم بن الحجاج هذا الاستقبال فقال : لما قدم البخاري نيسابور ما رأيت والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به ؛ استقبلوه من مرحلتين من البلد أو ثلاث . وقال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه : من أراد أن يستقبل البخاري غداً فليستقبله ، فإني أستقبله ، فاستقبله

الذهلي وعامة علماء نيسابور ، فنزل البلد ، فنزل دار البخاريين ، فقال الذهلي : لا تسألوه عن شيء من الكلام ، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه وقع بيننا وبينه ، وشمت بنا كل ناصبي ورافضي وجهمي ومرجئي بخراسان . وأعلن الذهلي : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم ، فاسمعوا منه ، فذهب الناس ، فأقبلوا على السماع منه حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى الذهلي ، فتكلم فيه بعد ذلك[1] .

وأقام البخاري بنيسابور مدة يحدث على الدوام ، والناس يزدحمون على الإمام البخاري في درسه حتى تمتلىء الدار والسطوح .

---

(1) وكلام الذهلي في البخاري من الحسد ، وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله : « كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، لا سيما إذا لاح انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، ما ينجو منه إلا من عصم الله ، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك ، سوى الأنبياء والصديقين ، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس ، اللهم لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم » .

أثار المعتزلة مسألة خلق القرآن ، ولقيت هذه المسألة من الخليفة المأمون[1] ثم المعتصم[2] بالله تأييداً شديداً ، لكن الله أطفأ نار هذه الفتنة بجهود إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله .

ولقد ذكر البيهقي[3] موقف المحدثين والإمام أحمد في هذه المسألة في « الأسماء والصفات » فقال : مذهب السلف والخلف من أهل الحديث والسنة أن القرآن كلام الله ، وهو صفة من صفات ذاته ، وأما التلاوة فهم على طريقتين : منهم من فرق بين

---

(١) هو : عبد الله بن هارون الرشيد ، سابع الخلفاء العباسيين في العراق ، واحد اعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه ، ولي الخلافة سنة ١٩٨ هـ ومما يؤخذ عليه « محنة خلق القرآن » .

مولده ١٧٠ هـ وفاته ٢١٨ هـ .

(٢) هو : محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ هـ يوم وفاة اخيه المأمون وبعهد منه ، وكان من اعظم خلفاء بني العباس . وهو فاتح عمورية وباني مدينة « سامراء » .

مولده ١٧٩ هـ وفاته ٢٢٧ هـ .

(٣) هو : احمد بن الحسين ، بن علي ، ابو بكر : من ائمة الحديث ، نشأ في بيهق في « إيران » ورحل في طلب العلم ، الف كثيراً في نصرة المذهب الشافعي ، ومن مؤلفاته : السنن الكبرى ، و « شعب الإيمان » والأسماء والصفات ، ومناقب الشافعي .

مولده ٣٨٤ هـ وفاته ٤٥٨ هـ .

التلاوة والمتلو ، ومنهم من أحب ترك القول فيه • وأما ما نقل عن أحمد بن حنبل أنه سوّى بينهما ، فإنه أراد حسم المادة لئلا يتذرع أحد" إلى القول بخلق القرآن ، ثم أسند من طريقين إلى أحمد أنه أنكر على من نقل عنه أنه قال « لفظي بالقرآن غير مخلوق » وأنكر على من قال : « لفظي بالقرآن مخلوق » وقال : القرآن كيف تصرف غير مخلوق فأخذ بظاهر هذا الثاني من لم يفهم مراده وهو مبيّن في الأول •

وقد ظن بعضهم أن البخاري خالف في ذلك الإمام أحمد ، وليس كذلك ، بل من تدبر كلامه لم يجد فيه خلافاً معنوياً ، ولكن العالم من شأنه إذا ابتلي في ردٍّ بدعة أكثر في كلامه في ردها دون ما يقابلها • فلما ابتلي أحمد بمن يقول : « القرآن مخلوق » كان أكثر كلامه في الرد عليهم حتى بالغ ، فأنكر على من يقف ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق ، وعلى من قال « لفظي بالقرآن مخلوق » لئلا يتذرع بذلك من يقول « القرآن بلفظي مخلوق » مع أن الفرق بينهما لا يخفى عليه ، ولكنه يخفى على البعض • وأما البخاري فابتلي بمن يقول : أصوات العباد غير مخلوقة حتى بالغ بعضهم فقال : المداد والورق • فكان أكثر كلام البخاري في الرد عليهم •

قال الحافظ : وقد صح عن البخاري أنه قال : كل من نقل عني أني قلت : لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب علي ، وإنما قلت : أفعالنا مخلوقة •

حسد البخاري ـ رحمه الله ـ بعض الحاسدين ، وشغبوا عليه . قال أبو أحمد بن عدي : ذكر لي جماعة من المشايخ أن البخاري لما ورد نيسابور واجتمع الناس عنده حسده بعض شيوخ الوقت ، فقال لأصحاب الحديث : إن البخاري يقول : « لفظي بالقرآن مخلوق » فلما حضر المجلس قام إليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثاً فألح عليه ، فقال البخاري : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأفعال العباد مخلوقة ، والسؤال عنــه بدعة ، فشغب الرجل وقال : قد قــال : لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال البخاري : حركاتهم وأصواتهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المثبت في المصاحف الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق ، قال الله تعالى : « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم »[1] قال : وقال أبو حامد بن الشرقي : سمعت محمد بن يحيى الذهلي يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم ، ومن

---

(١) الآية ٤٩ : من سورة العنكبوت .

ذهب بعد هذا إلى البخاري فاتهموه ، فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه .

وقال الحاكم : لما وقع بين البخاري وبين الذهلي في مسألة اللفظ انقطع الناس عن البخاري ؛ إلا مسلم بن الحجاج وأحمد ابن سلمة[1] . قال الحاكم : أحمد بن سلمة النيسابوري يقول : دخلت على البخاري فقلت له : يا أبا عبد الله إن هذا رجل مقبول بخراسان خصوصاً في هذه المدينة ، وقد لجّ في هذا الأمر حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فما ترى ؟ قال : فقبض على لحيته ، ثم قال :

وافوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد ، اللهم إنك تعلم أني لم أرد من المقام بنيسابور اشراً ولا بطراً ولا طلباً للرياسة ، وإنما ابت علي نفسي الرجوع إلى الوطن لغلبة المخالفين ، وقد قصد لي هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لا غير .

ثم قال لي : يا أحمد ، إني خارج ، غداً لتخلصوا من حديثه لأجلي . وقال الحاكم أيضاً عن الحافظ أبي عبد الله بن الأخرم قال : لما قام مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة من مجلس الذهلي

---

(١) أحمد بن سلمة : هو الحافظ الحجة ، النيسابوري . رفيق الإمام مسلم في الرحلة إلى بلخ والبصرة ، سمع من البخاري ومات سنة ٢٨٦ هـ .

بسبب البخاري ، قال الذهلي[1] : لا يساكنني هذا الرجل في البلد ، فخشي البخاري وسافر .

وقال أبو عمرو أحمد بن نصر النيسابوري : أتيت البخاري، فقلت له : يا أبا عبد الله ، هاهنا من يحكي عنك أنك تقول : لفظي بالقرآن مخلوق ، فقال : يا أبا عمرو ، احفظ عني : من زعم من أهل نيسابور — وسمى غيرها من البلدان بلاداً كثيرة — أني قلت : « لفظي بالقرآن مخلوق » فهو كذاب ، فإني لم أقله إلا أني قلت : أفعال العباد مخلوقة . انتهى مختصراً .

إلى بخارى

خرج البخاري من نيسابور عائداً إلى بلده بخارى ، فتلقاه ، أهلها في تجمل عظيم ومقدم كريم ، قال القسطلاني[2] : نصبت له

---

(١) ومع كل ما جرى من الذهلي ، فقد أخرج البخاري حديث الذهلي في « صحيحه » إلا انه كان يقول : حدثنا محمد أو حدثنا محمد بن خالد ينسبه إلى جده أخذاً بعلمه ودفعاً لما يتوهم من أن شيخه محق في طعنه فيه لو صرح باسمه ، فانظر كيف بلغ السمو النفسي بالبخاري .

(٢) هو : أحمد بن محمد ، بن أبي بكر ، بن عبد الملك ، القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين : من علماء الحديث . مولده ووفاته بالقاهرة . من مؤلفاته إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، « والمواهب اللدنية في المنح المحمدية » . وغيرها .

مولده ٨٥١ هـ وفاته ٩٢٣ هـ .

القباب على فرسخ[1] من البلد ، واستقبله عامة أهلها ، حتى لم يبق مذكور ، ونثر عليه الدراهم والدنانير • وبقي مدة يحدثهم في مسجده ، فسأله أمير بخارى خالد بن أحمد[2] أن يحضر منزله فيقرأ « التاريخ » و « الجامع » على أولاده فامتنع من ذلك وقال : لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم آخرين • فاستعان خالد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل بخارى حتى

---

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل الف باع ، والباع اربعة أذرع ، والذراع أربعة وعشرون أصبعاً ، والأصبع اربع شعيرات بطن لبطن ، والشعيرة ست شعرات من ذيل بغل ، ولقد قال بعضهم في ذلك شعراً :

إن البريد من الفراسخ اربع	ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل الف اي من الباعات قل	والباع أربع اذرع فتتبع
ثم الذراع من الأصابع اربع	من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيرة	منها الى بطن لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط	من ذيل بغل ليس عن ذا مرجع

(٢) هو : خالد بن احمد بن خالد السدوسي الذهلي . احد الأمراء في العهد العباسي ولي إمرة خراسان ثم بخارى وسكنها ، وكان عالماً بالحديث ،- مما يؤخذ عليه ما فعله بالبخاري . مات محبوساً في سجن الخليفة المعتمد العباسي سنة ٢٦٩ هـ .

تكلموا في مذهبه فنفاه عن البلد[1] فقال : اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم ، قال : فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الطاهرية بأن ينادى عليه ، فنودي عليه وهو على أتان ثم صار عاقبة أمره إلى الذل والحبس • وأمّا حريث فإنه ابتلي في أهله ، فرأى فيهم ما يجل عن الوصف• وأما فلان فإنه ابتلي في أولاده ، فأراه الله فيهم البلايا • وقال النووي : روينا عن بكر بن منير قال : بعث إليه الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى أن احمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك ، فقال البخاري لرسوله : أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كان لك إلى شيء منه حاجة ، فاحضرني في مسجدي أو في داري • وفي رواية عن غير ابن منير ، قال : وراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع منه ، وقال لا يسعني أن أخصّ بالسماع قوماً دون قوم •

قلت : وهكذا روى الروايتين غير واحد من العلماء ، ولا تعارض بينهما ، فإن الظاهر أن الأمير راسله أولاً ولما امتنع عنه البخاري تنزل الأمير ثانياً إلى الثاني ، فامتنع البخاري عنه أيضاً فنفاه من البلد •

---

(١) السعي بإخراج الدعاة الى الحق من بلادهم ، كأنه مما توارثه المفسدون عن آبائهم: (أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وانظر الى تفسير قوله تعالى (أخرجوهم من قريتكم إنهم اناس يتطهرون).

وفاتـــه

لما خرج الإمام ــ رضي الله عنه ــ من بخارى كتب إليه أهل سمرقند يخطبوه إلى بلدهم ، فسار إليهم ، فلمـا كان بقريـة خرتنك[1] بلغه أنه قد وقع بينهم بسببه فتنة ، فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ، فأقام بها حتى ينجلي الأمر ، فضجر ليلة ودعا ــ وقد فرغ من صلاة الليل ــ : « اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك » فمات في ذلك الشهر .

قال القسطلاني : فلمـا كان بخرتنك ــ وهي على فرسخين من سمرقند ــ بلغه وقوع فتنة بينهم بسببه ، وكان له أقرباء بها ، فنزل عندهم حتى ينجلي الأمر ، فأقام أياماً فمرض حتى وجه إليه أهل سمرقند رسولاً يلتمسون خروجه إليهم فأجاب وتهيأ للركوب ولبس خفيه وتعمم ، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها إلى الدابة ليركبها ، قال : أرسلوني فقد ضعفت ، فأرسلوه ، فدعـا بدعوات ثم اضطجع فقضى . فسال عرق كثير لا يوصف ، وماسكن منه العرق حتى أدرج في أكفانه . انتهى مختصراً .

---

(١) خرتنك : بفتـح المعجمة وإسكان الراء وفتح الفوقانية وسكون النون ، وهي على فرسخين من سمرقند . قال الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله : حدثني أحد صلحاء بخارى وكان رفيقي في رحلتي الى المدينة المنورة عام (١٣٢٨ هـ) أن البلدة التي دفن بها الإمام البخاري المسماة بخرتنك تسمى الآن (خاجا آباد) .

توفي ــ رحمه الله ــ ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر ، ودفن بعد صلاة الظهر ، وكانت مدة عمره اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً •

قال الحافظ : قال وراقه : سمعت غالب بن جبريل ــ وهو الذي نزل عليه البخاري ــ فلما وضعناه في مقبرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ، ودامت أياماً ، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياماً يأخذون من ترابه [1] إلى أن جعلنا عليه خشباً مشبكاً •

وقال الكرماني[2] : لما دفن فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك • وظهر سَوارٍ بيض في السماء مستطيلة حذاء القبر ، وكانوا يرفعون التراب منه للبركة حتى ظهرت الحفرة للناس ، ولم يكن يُقدر على حفظ القبر بالحراس ، فنصب على القبر خشب مشبكات • فكانوا يأخذون ما حواليه من التراب والحصيات ، ودام ريح الطّيب أياماً كثيرة ، حتى تواتر عند جميع أهل تلك البلاد •

---

(١) التبرك بتراب الميت من الغلو الذي لا ينبغي .

(٢) هو: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدين الكرماني ، عالم بالحديث ، أصله من كرمان واشتهر في بغداد وتصدى لنشر العلم فيها ثلاثين عاماً . الف كتاب « الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » ولكن قال ابن قاضي شهبة : فيه أوهام وتكرار كثير ولا سيما في ضبط أسماء الرواة ، وكتباً أخرى .

مولده ٧١٧ هـ وفاته ٧٨٦ هـ .

مبشرات عظيمة في شأن البخاري

حكى الحافظ عن الخطيب بسنده إلى عبد الواحد بن آدم يقول : رأيت النبي ﷺ في النوم ـ ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ـ فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، فقلت : ما وقوفك هاهنا يا رسول الله ؟ قال : أنتظر محمد بن إسماعيل ؛ قال : فلما كان بعد أيام بلغني موته ، فنظرت فإذا قد مات في الساعة التي رأيت فيها النبي ﷺ .

قال القسطلاني : لما ظهر أمره بعد وفاته خرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبة والندامة [1] .

وقال الفربري : رأيت النبي ﷺ في المنام ، فقال لي : أين تريد ؟ فقلت : أريد محمد بن إسماعيل ، فقال : أقرئه مني السلام .

قول النووي في مناقب البخاري

قال النووي في « تهذيبه » بعد ذكر شيء في مناقبه : هذه أحرف من عيون مناقبه وصفاته ، ودرر شمائله وحالاته ، أشرت إليها إشارات لكونها من المعروفات الواضحات . ومناقبه لا تستقصى لخروجها عن أن تحصى ، وهي منقسمة إلى حفظ ودراية ، واجتهاد في التحصيل ورواية، ونسك ، وإفادة ، وورع

---

(١) لا ينبغي أن تكون التوبة عند القبر .

وزهادة ، وتحقيق وإتقان ، وتمكن وعرفان ، وأحوال وكرامات ، وغيرها من أنواع المكرمات ، ويوضح ذلك ما أشرت إليه من أقوال أعلام المسلمين ، أولي الفضل والورع والدين ، والحفاظ والنقاد المتقنين ، الذين لا يجازفون في العبارات بل يتأملونها ويحررونها ويحافظون على صيانتها أشد المحافظات ، وأقاويلهم بنحو ما ذكرته غير منحصرة ، وفيما أشرت إليه أبلغ كفاية للمستبصر • رضي الله عنه وأرضاه ، وجمع بيني وبينه وجميع أحبابنا في دار كرامته مع من اصطفاه ، وجزاه عني وعن سائر المسلمين أكمل الجزاء ، وحباه من فضله أبلغ الحباء •

مؤلفاته

قال القسطلاني في مقدمته : أما تآليفه ، فإنها سارت مسير الشمس ، ودارت في الدنيا ، فما جحد فضلها إلا الذي يتخبطه الشيطان من المس • وأجلها وأعظمها : ١ ــ الجامع الصحيح ، ٢ ــ الأدب المفرد ، ٣ ــ رفع اليدين في الصلاة ، ٤ ــ القراءة خلف الإمام ، ٥ ــ بر الوالدين ، ٦ ــ التاريخ الكبير ، ٧ ــ الأوسط ، ٨ ــ الصغير ، ٩ ــ خلق أفعال العباد ، ١٠ ــ الضعفاء ، ١١ ــ المسند الكبير ، ١٢ ــ التفسير الكبير ، ١٣ ــ الأشربة ، ١٤ ــ الهبة ، ١٥ ــ أسامي الصحابة ، ١٦ ــ الوحدان ، ١٧ ــ المبسوط ، ١٨ ــ العلل ، ١٩ ــ الكنى ، ٢٠ ــ الفوائد ، ٢١ ــ قضايا الصحابة •

وهذه الكتب منها ما هو موجود، مطبوعاً أو مخطوطاً ، ومنها ما عرف بذكر بعض الأئمة له ونقلهم عنه .

* * *

وإلى هنا ننهي هذه الصحائف اليسيرة في سيرة الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ التي احتوت على نبذ موجزة من حياته وفضائله وعلمه وحليته ، وننتقل إلى الحديث عن أعظم كتبه ، بل عن أعظم الكتب في الاسلام بعد كتاب الله تعالى ، كتاب « الجامع الصحيح » الذي اشتهر بين الناس قديماً وحديثاً بـ « صحيح البخاري » .



الفصل الثاني

صحيح البخاري

تأليفه ومكانته - فضائله وخصائصه



صَحِيحُ البُخَارِي

تـأليفه ومكانته - فضـائله وخصائصه

كانت كتب الحديث قبل عصر البخـاري ـــ رحمــه الله ـــ ممزوجاً فيها الصحيح بغيره : بحيث لا يتعين للناظر فيها درجة الحديث من الصحة إلا بعد البحث عن أحوال رواته ، وغير ذلك مما هو معروف عند أهل الحديث ، فإن لم يكن له وقوف على ذلك اضطر إلى أن يسأل أئمــة الحديث عنه ، فإن لم يتيسر لــه ذلك بقي ذلك الحديث مجهول الحال عنده . وحين ظهر الإمام البخاري وبرع في علم الحديث ، وصار له فيه المنزلة التي ليس فوقها منزلة ، أراد أن يجرد الصحيح ، ويجعله في كتاب على حدة ، ليخلّص طالب الحديث من عناء البحث والسؤال ، فألف كتابه المشهور ، وأورد فيه ما يتبين له صحته ، وسمَّى كتابه : « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه » .

قال الشيخ طاهر الجزائري : فعلم من قوله « الجامــع » أنه لم يخص بصنف دون صنف،ولهذا أورد فيه الأحكام والفضائل والأخبار الماضية والآتية ، وغــير ذلك من الآداب والرقاق ، وفي

قوله « الصحيح » أنه ليس فيه شيء ضعيف عنده ، وإن كان فيه مواضع قد انتقدها غيره ، فقد أجيب عنها . وقد صح عنه أنه قال : ما أدخلت في الجامع إلا ما صح . ومن قوله « المسند » أن مقصوده الأصلي تخريج الأحاديث التي اتصل إسنادها ببعض الصحابة عن النبي ﷺ ، سواء كانت من قوله أو فعله أو تقريره ، وأن ما وقع في الكتاب من غير ذلك ، فإنما وقع عرضاً وتبعاً لا أصلاً ومقصوداً .

قال الحافظ : وتقرر أنه التزم فيه الصحة ، وهو مستفاد من تسميته إياه « الجامع الصحيح » .

وقد اقتفى أثر الإمام البخاري في ذلك الإمام مُسلم بن الحجاج ، وكان من الآخذين عنه ، والمستفيدين منه ، فألف كتابه المشهور .

ولقب هذا الكتابان بالصحيحين ، فعظم انتفاع الناس بهما ، ورجعوا عند الاضطراب إليهما . وألفت بعدهما كتب لا تحصى ، فمن أراد البحث عنها ، فليرجع إلى مظان ذكرها .

الباعث على تأليفه

قال الحافظ : وقوّى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه ، أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن راهويه ، فقال : لو جمعتم كتاباً مختصراً في الصحيح من سنة رسول الله ﷺ ، قال البخاري : فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع الجامع الصحيح.

وروينا بالإسناد الثابت عن البخاري يقول : رأيت النبي ﷺ في المنام ، وكأني واقف بين يديه ، وبيدي مروحة أذب بها عنه ، فسألت بعض المعبِّرين فقال : أنت تذب عنه الكذب ، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح .

كيف صنف البخاري « الجامع الصحيح »

قال الفربري : سمعت البخاري يقول : ما وضعت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين . وعن البخاري قال : صنفت الجامع من ست مائة ألف حديث ، في ست عشرة سنة ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله .

وعن عمر بن محمد بن بجير البجيري السمرقندي سمعت البخاري يقول : صنفت كتابي « الجامع » في المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثاً حتى استخرت الله تعالى ، وصليت ركعتين ، وتيقنت صحته . قال الحافظ : والجمع بينه وبين ما تقدم من أنه كان يصنفه في البلاد ، أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه في المسجد الحرام ، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها . ويدل عليه قوله: أنه صنفه في ست عشرة سنة ، فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها . وقد روى ابن عدي عن جماعة من المشايخ ، أن البخاري حوّل تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره ، وكان يصلي لكل ترجمة

ركعتين ،ولا ينافي هذا أيضاً ما تقدم ، لأنه يُحمل على أنه في الأول كتبه في المسودة ، وهاهنا حوّل من المسودة إلى المبيضة •

وروي عن عبد القدوس بن همام أنه قال : سمعت عدة من المشايخ يقولون : حوّل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي ﷺ ومنبره،وقال آخرون ـ منهم أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي[1] ـ: صنفه ببخارى ، وقيل بمكة ، وقيل بالبصرة ، وكل هذا صحيح ، ومعناه أنه كان يضيف فيه في كل بلد من هذه البلدان ، فإنه بقي في تصنيفه ست عشرة سنة •

مدة تأليفه

حين ألّف الإمام البخاري « صحيحه » عرضه على يحيى ابن معين وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ، وتوفي ابن معين ٢٣٣ هـ وابن المديني ٢٣٤ هـ وأحمد بن حنبل ٢٤١ هـ على الصحيح كما في « التقريب » • وعلى هذا فقد فرغ الإمام من تأليفه قبل سنة ثلاث وثلاثين سوى ما ألحقه بعد ذلك • ويؤيد الإلحاق اختلاف العدد في روايات البخاري • ففي « التدريب »

---

(١) هو : محمد بن طاهر،بن علي بن أحمد ، المقدسي الشيباني أبو الفضل ، رحالة مؤرخ من حفاظ الحديث ، ألف كتباً كثيرة ، مولده في بيت المقدس سنة ٤٤٨ هـ ووفاته ببغداد سنة ٥٠٧ هـ .

قال العراقي [1] : أما رواية « حماد بن شاكـر »[2] فهي دون رواية « الفربري » بمائتي حديث ، ورواية «إبراهيم بن معقل»[3] دونهما بثلاث مائة . فعلم من ذلك أنه رحمه الله ألحق في الصحيح مرة بعد أخرى . وإن سُلِّم فراغه من تأليفه قبل سنة ثـلاث وثلاثين ومائتين ، وزمان تأليفه ست عشرة سنة ، فأقصى ما يقال فيه : إنه بدأ تأليفه سنة سبع عشرة ومائتين ، إذ كان عمره الشريف ثلاثاً وعشرين سنة .

---

(١) هو : عبد الرحيم بن الحسين ، بن عبد الرحمن ، أبـو الفضل ، المعروف بالحافظ العراقي : بحاثة ، من كبـار حفاظ الحديث ، أصله من الكرد ، وتعلم صغيراً في مصر ونبغ فيها ، ورحل إلى البلاد ثم عاد لمصر فتوفي فيها . من كتبه : « المغني عن حمل الأسفار في الأسفار » . وهو في تخريج أحاديث « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي .

مولده ٧٢٥ هـ وفاته ٨٠٦ هـ .

(٢) هو : أحد رواة الصحيـح الخمسة ، الذين تناقل الناس روايتهم ، توفي سنة ٣١٠ هـ .

(٣) هو : إبراهيم بن معقل ، بن الحجاج ، العلامة ، أبـو إسحاق النسفي ، قاضي نسف وعالمها ، كان فقيهاً حافظاً بصيراً باختلاف العلماء ، عفيفاً صيناً ، وهو أحد رواة صحيح البخاري . وفاته سنة ٢٩٥ هـ .

وهو أكثر من أن يحصى ، قال القسطلاني :

« أما فضله : فهو أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن ، والمتلقى بالقبول من العلماء في كل أوان . قد فاق أمثاله في جميع الفنون والأقسام ، وخص بمزايا من بين دواوين الاسلام ، شهد له بالبراعة والتقدم الصناديد العظام ، والأفاضل الكرام ، ففوائده أكثر من أن تحصى وأغزر من أن تستقصى » .

وقال الذهبي في « تاريخ الاسلام » : وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله ، وهو أعلى في وقتنا هذا إسناداً للناس .

وقال أبو زيد المروزي : كنت نائماً بين الركن والمقام ، فرأيت النبي ﷺ في المنام ، فقال لي : يا أبا زيد ، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ، وما تدرس كتابي ؟ فقلت : يا رسول الله ، وما كتابك ؟ قال : جامع محمد بن إسماعيل البخاري .

وقال النسائي : أجود هذه الكتب كتاب البخاري .

وقال البخاري : ما وضعت في « الصحيح » حديثاً إلا اغتسلت وصليت ركعتين ، وأرجو أن يبارك الله تعالى في هذه المصنفات .

وقال الشيخ أبو محمد عبد الله[1] بن أبي جمرة : قال لي من لقيت من العارفين عمن لقيه من السادة المقرّ لهم بالفضل : إن صحيح البخاري ما قرىء في شدة إلا فرجت ، ولا ركب به في مركب إلا نجت [2] ، قال : وكان مجاب الدعوة ، وقد دعا لقارئه •

وقال الحافظ ابن كثير : وكتاب البخاري الصحيح يستسقى بقراءته الغمام ، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الاسلام •

وقال الشيخ الإمام ابن تيمية [3] : ليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن •

---

(١) هو : عبد الله بن سعد ، بن ابي جمرة ، الأزدي الأندلسي ، ابو محمد : من العلماء بالحديث ، اصله من الأندلس ووفاته بمصر، اختصر البخاري وشرحه وسمى كتابه « بهجة النفوس » ، وفاته ٦٩٥ هـ .

(٢) في الشدائد ينبغي ان يعمل المسلمون بالأسباب ، وأن يدعوا بما ورد عن رسول الله ﷺ من الأدعية في الشدائد ، وأما قراءة صحيح البخاري فينبغي دراسته والعمل بما فيه .

(٣) هو : احمد بن عبد الحليم ، بن عبد السلام ، الحراني نسبة إلى حران الجزيرة ، الدمشقي الحنبلي ابو العباس تقي الدين: الإمام ، شيخ الاسلام ، ولد في حران ، وتحول به ابوه إلى دمشق ، فنبغ واشتهر، كان داعية إصلاح، وكان له معارضون فسجن في مصر وفي دمشق ، وكان عالماً غزير العلم فصيح اللسان ، تقي الجنان مجاهداً في سبيل الله ، مؤلفاته كثيرة منها : الفتاوى ، منهاج السنة ، الإيمان .

مولده ٦٦١ هـ وفاته ٧٢٨ هـ .

وقال الإمام ولي الله الدهلوي[1] في « حجة الله البالغة » :
أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع ، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما ، وأن من يهوّن أمرهما فهو مبتدع متبع غير سبيل المؤمنين .

مكانة الجامع الصحيح بين الكتب الستة

اتفق علماء هذه الأمة على أن جامع البخاري أجل وأعظم من جميع كتب السنة ، بل هو أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز . وليس اتفاق الأمة وعلمائها على أصحية البخاري وفضله على سائر الكتب مجرد اتفاق ومصادفة ، ولا عن تواطؤ ومؤامرة — وقد أعاذ الله هذه الأمة التي اختارها لحمل دينه وتبليغ رسالته من أن تكون فريسة غفلة وغباوة ، وأن تجتمع على الضلال — بل كان ذلك إلهاماً من الله ، ومكافأة على ما قام به مؤلف هذا الكتاب من جهاد في سبيل حفظ الأحاديث النبوية ، ومعرفة رجالها

---

(1) هو : أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي ، الملقب بـ « شاه ولي الله » فقيه حنفي من المحدثين ، من أهل دهلي بالهند . قال فيه صاحب فهرس الفهارس : « أحيى الله به وبأولاده وأولاد بنته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواتهما » من كتبه : حجة الله البالغة .

مولده ١١١٠ هـ وفاته ١١٧٦ هـ .

ورواتها • قال النـــووي في « التقريب » : « أول مصنــف في الصحيح المجرد صحيح البخاري ثم مسلم ، وهما أصح الكتب بعد القرآن العزيز ، والبخاري أصحهما ، وقيـــل : مسلم أصح ، والصواب الأول ، وعليه الجمهور •

وما روي عن الإمام الشافعي أنه قال : ما أعلم في الأرض كتاباً أكثر صواباً من كتاب مالك ، وفي رواية عنه : ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك ، فذلك قبل وجود الكتابين » • انتهى •

قال المحدث الكبير العلامة الشيخ محمد زكريا : وهـــو واضح ، فإن الإمام الشافعي رحمـــه الله توفي ٢٠٤ هـ ، وكان البخاري إذ ذاك ابن عشر ، ومسلم ولادته في هذه السنة ، فأين وجود كتابيهما ؟ فإن تأليف البخاري عنده في حدود مائتينوسبع عشرة إلى ثلاث وثلاثين ، كما تقدم • وتأليف مسلم في سنة خمسين ومائتين كما جزم به العراقي ، وحكاه السيوطي[1] في « التدريب » وكانت مدة تأليفه خمس عشرة سنة •

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي : إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو ستمائة كتاب ، نشأ في القاهرة ، ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس ، وألف أكثر كتبه . من كتبه : تاريخ الخلفاء ، الاتقان في علوم القرآن ، الخصائص الكبرى .

مولده ٨٤٩ هـ وفاته ٩١١ هـ .

وفي الجملة فإن صحيح البخاري أعلى رتبة في الصحة وغيرها عند الجمهور ، ثم الصحيح للإمام مسلم ، ثم السنن للإمام أبي داود وبذلك جزم صاحب « مفتاح السعادة » إذ قال : اعلم أن رئيس هؤلاء الطائفة وقدوتهم بعد مالك ، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ويليه في الرتبة كتاب مسلم ، ويليهما أبو داود ، ويليهم أبو عيسى الترمذي ، ويليهم أبو عبد الرحمن النسائي . وبذلك جزم صاحب « نيل الأماني » إذ قال في شرح قول القسطلاني : ومنهم من لم يتقيد بذلك كباقي الكتب الستة . قال : وهي سنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وهم على هذا الترتيب في الصحة .

مكانة الجامع الصحيح بين الصحاح الستة تدريساً

قال العلامة المحدث الكبير الشيخ الجليل محمد زكريا : والأوجه عندي في ترتيب التحصيل أن يُقدم الترمذي ثم أبو داود ثم البخاري ثم مسلم ثم النسائي ثم ابن ماجه ثم الموطأ . لأن طالب الحديث أول ما يحتاج إليه تحقيق المذاهب وأنواع الحديث، ثم دلائله ، ثم طرق الاستنباط ، ثم جمع الروايات ، ثم التنبيه على الضعاف ثم التأييد بالآثار ، وهكذا وظائف الكتب المذكورة . قيل : إن وظيفة الترمذي بيان المذاهب وأنواع الحديث ، ومقصود أبي داود جمع دلائل الأئمة ، ومعظم خواص البخاري طرق

الاستنباط ، ودأب مسلم جمع الروايات الكثيرة ، وأشار النسائي إلى علل الحديث . وجمع ابن ماجه الصحاح والضعاف .

والسائد في بلادنا ـ الهند ـ تدريس « مشكاة المصابيح » بإمعان وتحقيق أولاً ، ثم في العام الثاني تدريس « الصحاح الستة » على الترتيب المذكور الملقب « بدورة الحديث » .

الموازنة بين الصحيحين

روي عن أبي علي النيسابوري (١) شيخ الحاكم عن بعض شيوخ المغرب أنه قال : ما تحت أديم السماء كتاب أصح من صحيح مسلم ، هذا ، وقول من فضل من شيوخ المغرب « كتاب مسلم » على « كتاب البخاري » ، إن كان المراد أن «كتاب مسلم » يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح ، فإنه ليس فيه بعد خطبته إلا الصحيح مسروداً غير ممزوج بمثل ما في البخاري ، فهذا لا بأس به . ولا يلزم منه أن كتاب مسلم أصح صحيحاً فهو مردود على من يقوله . قال شيخ الاسلام ابن حجر : قول أبي علي ليس فيه

---

(١) هو : الحسين بن علي ، بن يزيد ، بن داود النيسابوري ، ابو علي : من كبار حفاظ الحديث ، له تصانيف ، وهو شيخ الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله) تنقل في البلاد وعظمت شهرته ، وتوفي بنيسابور .

مولده ٢٧٧ هـ وفاته ٣٤٩ هـ .

ما يقتضي تصريحه بأن « كتاب مسلم » أصح من « كتاب البخاري » خلاف ما يقتضيه إطلاق « الشيخ محيي الدين » في مختصره . وفي « مقدمة شرح البخاري » وإنما يقتضي نفي الأصحية عن غير « كتاب مسلم » عليه . أما إثباتها له فلا ، لأن إطلاقه يحتمل أن يريد ذلك ، ويحتمل أن يريد المساواة كما في حديث « ما أظلَّت الخضراء ، ولا أقلَّت الغبراء أصدق لهجة من « أبي ذر »[1] ، فهذا لا يقتضي أنه أصدق من جميع الصحابة ولا من الصديق ، بل نفى أن يكون فيهم أصدق منه ، فيكون فيهم من يساويه ، قال : ومع احتمال كلامه ذلك فهو منفرد سواء قصد الأول أو الثاني . قال : ورأيت في كلام أبي سعيد العلائي ما يشعر بأن « أبا علي » لم يقف على « صحيح البخاري » ، قال : وهذا عندي بعيد ، والذي يظهر لي من كلام « أبي علي »، أنه قدم صحيح مسلم لمعنى آخر غير ما يرجع إلى ما نحن بصدده

---

(١) رواه أحمد في المسند ١٧٥/٢ و ٢٢٣ والترمذي رقم (٣٨٠٣) مناقب أبي ذر ، وابن ماجه في المقدمة رقم (١٥٦) في فضل أبي ذر، والحاكم٣٤٢/٣ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً أحمد٣٤٢/٣ والترمذي رقم (٣٨٠٤) والحاكم ٣٤٢/٣ وابن حبان (٢٢٥٨) موارد من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وأحمد ١٩٧/٥ و ٤٤٢/٦ والحاكم ٣٤٢/٣ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

من الشرائط المطلوبة في الصحة ؛ لأن مسلماً صنف كتابه في بلده بحضور أصوله في حياة كثير من مشايخه فكان يتحرز في الألفاظ ، ويتحرى في السياق بخلاف البخاري ، فربما كتب الحديث من حفظه ولم يميز الحافظ رواته ، ولهذا ربما يعرض له الشك • وقد صح عنه أنه قال : رب حديث سمعته بالبصرة فكتبته بالشام •

ولم يتصدّ « مسلم » لما يتصدى له « البخاري » من استنباط الأحكام وتقطيع الأحاديث ؛ ولم يخرج الموقوفات ، قال : وأما ما نقل عن بعض المغاربة فلا يحفظ عن أحد منهم تقييد الأفضلية بالأصحية ، بل أطلق بعضهم الأفضلية ، وهذا في حسن الوضع ، وجودة الترتيب كما قاله « عياض »[1] • وقال ابن الملقن[2] : رأيت بعض المتأخرين قال : إن الكتابين سواء ، فهذا

---

(١) هو : عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته . ولي قضاء سبتة ، ثم قضاء غرناطة . . من تصانيفه « الشفا بتعريف حقوق المصطفى ».
مولده ٤٧٦ هـ وفاته ٥٤٤ هـ .

(٢) هو : عمر بن علي ، بن أحمد الأنصاري الشافعي ، سراج الدين ، أبو حفص ، المعروف بابن الملقن : من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال ، أصله من الأندلس ، ومولده ووفاته بالقاهرة ، أكثر من التصانيف .
مولده ٧٢٣ هـ وفاته ٨٠٤ هـ .

قول ثالث ، وحكاه الطوفي[1] في « شرح الأربعين » ومال إليه « القرطبي »[2] . انتهى ملخصاً من « التدريب » .

قال الشيخ طاهر الجزائري في « توجيه النظر » : وقد تعرض مرجحو « كتاب البخاري » على « كتاب مسلم » من جهة الصحة ، لبيان موجب ذلك ، فقالوا : إن مدار صحة الحديث على ثلاثة أشياء : الثقة بالرواة ، واتصال الإسناد ، والسلامة من العلل القادحة . ولدى البحث تبين أن « كتاب البخاري » أرجح في ذلك من ثلاثة وجوه . فيظهر رجحانه من أوجه :

أحدها — أن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربع مائة وبضع وثلاثون رجلاً ، والمتكلم فيه بالضعف

---

(١) هو : سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري نجم الدين ابو الربيع ، فقيه حنبلي ، من العلماء ولد في العراق ودخل بغداد سنة ٦٩١ ، وتجول في البلاد ، وتوفي في الخليل بفلسطين . له عدة كتب .

مولده ٦٥٧ هـ وفاته ٧١٦ هـ .

(٢) هو : محمد بن احمد ، بن ابي بكر ، بن فَرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ابو عبد الله القرطبي : من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، رحل إلى الشرق واستقر بمصر وتوفي فيها . من كتبه « الجامع لأحكام القرآن » ويعرف بتفسير القرطبي .

وفاته ٦٧١ هـ .

منهم ثمانون رجلاً • والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون رجلاً ، والمتكلم فيه بالضعف منهم مائة وستون رجلاً • ولا ريب أن التخريج لمن لم يتكلم فيه أصلاً أولى من التخريج عمن تكلم فيه • وإن لم يكن ذلك الكلام قادحاً فيه •

وثانيها ــ أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه لم يكثر من تخريج أحاديثهم ، وليس لواحد منهم نسخة كبيرة أخرجها كلها أو أكثرها إلا ترجمة « عكرمة » عن «ابن عباس »[1] بخلاف مسلم ، فإنه أخرج أكثر تلك النسخ كأبي الزبير عن جابر وسهيل عن أبيه ، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه ، وحماد بن سلمة عن ثابت وغير ذلك •

وثالثها ــ أن الذين انفرد بهم البخاري ممن تكلم فيه ، أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم ، وجالسهم ، وعرف أحوالهم ، واطلع على أحاديثهم ، وميز جيدها عن غيره ، بخلاف « مسلم »

---

(1) هو : عبد الله بن عباس ، ابن عم الرسول ﷺ : صحابي جليل ، حبر الأمة ، ولد بمكة ونشأ في بدء عصر النبوة ، ولازم رسول الله ﷺ . سكن الطائف آخر عمره وتوفي بها . له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً . كانت له منزلة خاصة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

مولده ٣ ق هـ وفاته ٦٨ هـ .

فإن أكثر من انفرد بتخريج حديثه ممن تكلم فيه ممن تقدم عصره من التابعين ، ومن بعدهم ، ولا شك أن المحدث أعرف بحديث شيوخه ممن تقدم منهم .

ورابعها ـ أن البخاري يخرج حديث الطبقة الأولى التي جعل جلّ اعتماده عليها . وقد يخرج من حديث الطبقة الثانية ما يعتمده من غير استيعاب ، لكن يخرج أكثره على طريق التعليق، وربما خرج اليسيرمنحديث الطبقة الثالثة على طريق التعليقأيضاً .

أما مسلم فإنه يخرج أحاديثالطبقتين على سبيل الاستيعاب، ويخرج أحاديث الطبقة الثالثة لكن من غير استيعاب .

وقال الحاكم أبو أحمد النيسابوري ـ وهو معاصر لأبي علي النيسابوري ، ومقدم عليه في معرفة الرجال فيما حكاه أبو يعلى الخليلي[1] في « الإرشاد » ـ ما ملخصه : رحـم الله محمـد بن إسماعيل الإمام فإنه الذي ألف الأصول ، وبين للناس ، وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه ، كمسلم فرق أكثر كتاب البخاري في كتابه . وقال أيضاً في « كتاب الكنى » : كان أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه .

---

(١) هو خليل بن عبد الله ، بن أحمد ، بن إبراهيم ، بن الخليل القزويني ، أبو يعلى الخليلي : قاض ، من حفاظ الحديث ، العارفين برجاله ، له « الإرشاد في علماء البلاد » .
توفي سنة ٤٤٦ هـ .

ولو قلت : إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لم أكن بالغت . وقال الدارقطني[1] : « إنما أخذ مسلم كتاب البخاري فعمل عليه مستخرجاً ، وزاد فيه زيادات ، والكلام في ذلك كثير ، ويكفي منه اتفاقهم على أنه كان أجل من مسلم في العلوم ، وأعرف منه بفن الحديث ،وإن مسلماً تلميذه وخريجه ، ولم يزل يستفيد منه ، ويتبع آثاره ، وإن مسلماً كان يشهد له بالتقدم في ذلك والإمامة فيه ، والتفرد بمعرفة ذلك في عصره ، حتى هجر من أجله شيخه محمد بن يحيى الذهلي لما أثار الفتنة على البخاري حسداً له ، حتى اضطر البخاري أن يخرج من نيسابور خشية على نفسه . وعلى كل حال فضل مسلم لا ينكر ، فإن البخاري وإن يكن قد قام بأمر الجامع ، فإن مسلماً قد قام بأمر إكماله فهو يتلوه على الأثر وهما للناس شمس وقمر » .

قال عبد الرحمن الشافعي :

تنازع قوم في البخاري ومسلم ... لديّ وقالوا أيّ ذَيْن تقدّمُ

فقلت: لقد فاق البخاريُّ صحةً ... كما فاق في حسن الصناعة مسلمُ

---

(1) هو : علي بن عمر ، الدارقطني الشافعي : إمام عصره في الحديث ، ولد بدار قطن (من أحياء بغداد) ورحل إلى مصر ، وعاد إلى بغداد فتوفي بها . من مؤلفاته « السنن » .

مولده ٣٠٦ هـ وفاته ٣٨٥ هـ .

إن الشيخين لم يستوعبا الصحيح ولا التزما ذلك

ظن كثير من الناس أن الشيخين قد التزما بأن يخرجا كل ما صح من الحديث في كتابيهما . فاعترضوا عليهما بأنهما لم يقوما بما التزما به . وليس الأمر كذلك ، فقد روي عن البخاري أنه قال : ما أدخلت في كتابي « الجامع » إلا ما صح ، وتركت جملة من الصحاح خشية أن يطول الكتاب . وروي عن مسلم أنه قال : إنما أخرجت هذا الكتاب ، وقلت : هو صحاح ولم أقل إن ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف ، وإنما أخرجت هذا الحديث من الصحيح ليكون عندي وعند من يكتبه عني ولا يرتاب في صحته .

وبما ذكرنا من عدم التزامهما استيعاب الأحاديث الصحيحة أجمع ، يظهر لك أن لا وجه لإلزام من ألزمهما إخراج أحاديث لم يخرجاها مع كونها صحيحة على شرطيهما .

وقد اختلف العلماء في مقدار ما فاتهما من جهة القلة والكثرة. قال النووي : قد فاتهما كثير . والصواب قول من قال إنه لم يفت الأصول الخمسة إلا اليسير ، والأصول الخمسة : هي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وقد جعل بعضهم الأصول ستة بضم سنن ابن ماجه .

عدد روايات البخاري

قال الحافظ ابن الصلاح [1] في « علوم الحديث » : جملة ما في صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة ، وقد قيل إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث ، وتبعه النووي في مختصره . قال الحافظ في آخر الكتاب : فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته وأتقنته سبعة آلاف وثلاث مائة وسبعة وتسعون حديثاً . فقد زاد على ما ذكروه مائة حديث واثنين وعشرين حديثاً .

قال شيخنا : هو كذلك فإنهم ذكروا ٧٢٧٥+١٢٢=٧٣٩٧ ، وهذا الذي ذكره الحافظ . ثم عدّد الحافظ المعلقات والمتابعات في كل باب ، وقال في آخره : فجملة ما في الكتاب من التعاليق ألف وثلاث مائة وواحد وأربعون حديثاً (١٣٤١) وأكثرها مكرر ، فخرج في الكتاب أصول متونه ، وليس فيه من المتون التي لم تخرج في الكتاب ، ولو من طريق أخرى إلا مائة وستون حديثاً ،

---

(١) هو : عثمان بن عبد الرحمن ، الشهرزوري الكردي ، أبو عمرو ، المعروف بابن الصلاح : أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، ولي التدريس في دار الحديث بدمشق ، وتوفي فيها ، من كتبه «معرفة انواع علم الحديث» ويعرف بـ « مقدمة ابن الصلاح » .

مولده ٥٧٧ وفاته ٦٤٣ هـ .

قد أفردتها في كتاب لطيف . وجملة ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ثلاث مائة وواحد وأربعون (٣٤١) ، فجميع ما في الكتاب على هذا بالمكرر تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً (٩٠٨٢) ، وهذه العدة خارجة عن الموقوفات عن الصحابة. والمقطوعات عن التابعين ، فمن بعدهم ، وقد استوعبت وصل جميع ذلك في كتاب « تغليق التعليق »[1] .

وهذا الذي حررته من عدّة ما في صحيح البخاري ، تحرير بالغ فتح الله به ، لا أعلم من تقدمني إليه . وأنا مقر بعدم العصمة من السهو والخطأ . والله المستعان .

قال شيخنا : ما ذكره الحافظ من المجموع هكذا حكاه بعد قريب من ثلاثين سنة في آخر « الفتح » ، لأن تأليف المقدمة كان في سنة ثلاث عشرة ، والفراغ من تأليف « الفتح » في أول يوم من رجب سنة اثنتين وأربعين ، وذكر في آخر « الفتح » أيضاً العدد الذي ذكر في « المقدمة » ولي فيه تأمل لأنه قال أولاً : فمجموعه بالمكرر سبعة آلاف وثلاث مائة وسبعة وتسعون . ثم قال : وجملة التعاليق ألف وثلاث مائة وواحد وأربعون ، وجملة ما فيه من المتابعات ثلاث مائة وواحد وأربعون . فيكون المجموع تسعة آلاف وتسعة وسبعون ، أو اثنان وثمانون ، هكذا صورته ٧٣٩٧ ـ ١٣٤١ ـ ٣٤١ ـ ٩٠٧٩ .

---

(١) له نسخة خطية في مكتبة الحرم المكي .

لكن الحافظ ـ رحمه الله ـ ذكر في آخر « الفتح » أيضاً مثل ما في « المقدمة » إذ قال : فجميع ما في « الجامع » من الأحاديث بالمكرر موصولاً ومعلقاً وما في معناه من المتابعة تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً [1] ، وجميع ما فيه موصولاً ومعلقاً بغير تكرار ألفا حديث وخمس مائة حديث وثلاثة عشر حديثاً . فمن ذلك المعلّق وما في معناه على المتابعة مائة وستون حديثاً ، والباقي[2] موصول وافقه مسلم على تخريجها سوى ثمان مائة وعشرين حديثاً . وقد بينت ذلك في آخر كل كتاب من كتب « هذا الجامع » .

وذلك كله خارج عما أودعه في تراجم الأبواب من ألفاظ الحديث من غير تصريح بما يدل أنه حديث مرفوع .

وقال صاحب « كشف الظنون » : ومنهم ـ أي من رواة البخاري ـ إبراهيم بن معقل النسفي الحافظ ، وفات منه قطعة من آخرها رواها بالإجازة ، ولذا قيل : إن رواية إبراهيم أنقص

---

(١) لقد قام الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بإحصاء احاديث البخاري ، فكان عدة ما فيه بالمكرر ٧٥٦٣ حديثاً سوى التعاليق والمتابعات والموقوفات والمقطوعات ، وفيه بحذف المكرر (٢٦٠٧) أحاديث ، واعتمد فضيلة الأستاذ محب الدين الخطيب على هذا الإحصاء في ترقيم احاديث « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » وطبع هذان الكتابان « بالقاهرة » .

(٢) اي الفان وثلاث مائة وثلاثة وخمسون حديثاً .

الروايات فإنها تنقص عن رواية الفربري ثلاث مائة حديث • قال ابن حجر : هذا غير مسلَّم ، فإنهم إنما قالوا ذلك تقليداً للحموي ، فإنه كتب البخاري ورواه عن الفربري ، وعدَّ كل باب منه ثم جمع الجملة ، وقلده كل من جاء بعده نظراً منهم إلى أنه راوي الكتاب ، وليس كذلك • إلا أن حماد بن شاكر فاته من آخر البخاري فوت فلم يروه فعدوه ، فبلغ مائتي حديث ، فقالوا : روايته ناقصة عن رواية الفربري • وفات ابن معقل أكثر من حماد ، فعدوه كما فعلوا في رواية حماد ، وذكره البقاعي[1] في حاشية « الألفية » • وعدد كتب البخاري مائة وشيء ، وعدد أبوابه ثلاثة آلاف وأربع مائة وخمسون باباً مع اختلاف قليل في نسخ الأصول •

معظم مقصود البخاري في صحيحه

اختار الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ في كتابه منهجاً يدعو إلى الثقة والاطمئنان إلى صحة أحاديثه • قال الحافظ في مقدمة الفتح : « تقرر أنه التزم الصحة فيه ، وأنه لا يورد فيه إلا حديثاً

---

(١) هو : إبراهيم بن عمر ، البقاعي مؤرخ ، أديب ، أصله من البقاع في سوريا وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي في دمشق ، من مؤلفاته «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» سبع مجلدات ، ويعرف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي .
مولده ٨٠٩ هـ وفاته ٨٨٥ هـ .

صحيحاً ، هذا أصل موضوعه ، وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة صريحاً . ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت البديعة ، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها ، واعتنى بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة ، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة » .

قال الشيخ محيي الدين النووي : ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها . ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب من إسناد الحديث واقتصر فيه فقال : فلان عن النبي ﷺ ، ونحو ذلك . وقد يذكر المتن بغير إسناد ، وقد يورده معلّقاً ، وإنما هذا لأنه أراد الاحتجاج على المسألة التي ترجم لها ، وأشار إلى الحديث لكونه معلوماً ، وقد يكون مما تقدم قريباً . وقال العلامة الكوثري[1]

(١) هو : محمد بن زاهد الكوثري ، فقيه حنفي ، جركسي الأصل ، ولد بقرية شرقي الآستانة ، وتفقه في جامع « الفاتح » بالآستانة ، واضطهده الاتحاديون خلال الحرب العالمية الأولى ، ولما ولي الكماليون أرادوا اعتقاله ، فهاجر إلى مصر ، وتنقل زمناً بينها وبين الشام ، ثم استقر في القاهرة وتوفي بها ، له تعليقات على بعض المطبوعات في الفقه والحديث والرجال وله عدة مؤلفات منها : مقالات الكوثري .

مولده ١٢٩٦ هـ وفاته ١٣٧١ هـ .

في « هامش شروط الأئمة » للحازمي : [1] : فغرض البخاري تخريج الأحاديث الصحيحة ، واستنباط الفقه والسيرة والتفسير • فذكر عرضاً الموقوف والمعلق ، وفتاوى الصحابة والتابعين وآراء الرجال ، فتقطع عليه متون الأحاديث وطرقها في أبواب كتابه •

وقال شيخ مشايخنا الشيخ ولي الله الدهلوي في أول تراجمه: أوّل ما صنف أهل الحديث في علم الحديث جعلوه مدوّناً في أربعة فنون :

فن السنة : الذي يقال له الفقه مثل موطأ مالك ، وجامع سفيان •

وفن التفسير : مثل كتاب ابن جريج •

وفن السير : مثل كتاب محمد بن إسحاق •

وفن الزهد والرقائق : مثل كتاب ابن المبارك • فأراد البخاري أن يجمع الفنون الأربعة في كتاب ويجرده لما حكم له العلماء بالصحة قبل البخاري وفي زمانه • ويجرده للحديث المرفوع المسند ، وما فيه من الآثار وغيرها إنما جاء به تبعاً لا بالأصالة ،

---

(١) هو : محمد بن موسى ، المعروف بالحازمي : باحث ، من العلماء ، أصله من همذان ووفاته ببغداد . من كتبه « شروط الأئمة الخمسة في مصطلح الحديث » .

مولده ٥٤٨ هـ وفاته ٥٨٤ هـ .

ولذا سمى كتابه « بالجامع الصحيح المسند » . وأراد أيضاً أن يفرغ جهده في الاستنباط من حديث رسول الله ﷺ ، ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة ، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث ويودع في تراجم الأبواب سر الاستنباط ، وعلم من ذلك أن معظم مقصود الإمام في صحيحه هو سر الاستنباط ، ولذا اشتهر قول جمع من الفضلاء : « فقه البخاري في تراجمه » ، كما حكاه الحافظ أيضاً في «مقدمة الفتح» .

شرط الإمام البخاري في صحيحه

ألف العلماء في شروط الأئمة رسائل مستقلة ، منها : « شروط الأئمة في القراءة والسماع والمناولة والإجازة » للحافظ أبي عبد الله بن منده[1] المتوفى ٣٩٥ هـ .

ومنها : « شروط الأئمة الستة » للحافظ محمد بن طاهر المقدسي المتوفى ٥٠٧ هـ طبع بالهند والقاهرة .

ومنها : « شروط الأئمة الخمسة » للحازمي المتوفى ٥٨٤ هـ طبع بمصر بحاشية العلامة الكوثري .

---

(١)هو : محمد بن إسحاق ، بن محمد ، بن يحيى ، بن منده ، الأصبهاني : من كبار حفاظ الحديث ، الراحلين في طلبه ، المكثرين من التصنيف فيه .

مولده ٣١٠ هـ وفاته ٣٩٥ هـ .

قال المقدسي في « شروط الأئمة » له : اعلم أن البخاري ومسلماً ومن ذكرنا من بعدهم ــ يعني أصحاب السنن الأربعة ــ لم ينقل عن واحد منهم أنه قال : شرطت أن أخرج في كتابي مما يكون على الشرط الفلاني ، وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم ، وقال الحافظ أبو الفضل بن طاهر : شرط البخاري أن يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور ، من اختلاف بين الثقات الأثبات ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع ، فإن كان للصحابي راويان فصاعداً فحسن ، وإن لم يكن له إلا راو واحد ، وصح الطريق إليه كفى ، إلا أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه . وأخرج مسلم أحاديثهم لإزالة الشبهة . كذا في الأصل، قال : وادعاء الحاكم أبي عبد الله أن شرط البخاري ومسلم أن يكون للصحابي راويان فصاعداً ، ثم يكون للتابعي المشهور راويان ثقتان إلى آخر كلامه ، فمنتقض عليه بأنهما أخرجا أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم إلا راو واحد .

قال الحافظ : والشرط الذي ذكره الحاكم وإن كان منتقضاً في حق بعض الصحابة الذين أخرج لهم ، فإنه معتبر في حق من بعدهم ، فليس في الكتاب حديث أصل من رواية من ليس له إلا راو واحد قط .

وقال الحافظ الحازمي : وهذا الذي قاله الحاكم قول من لم يمعن الغوص في خبايا الصحيح ، ولو استقرأ الكتاب حق استقرائه لوجد جملة من الكتاب ناقضة دعواه. ثم قال ما حاصله : إن شرط الصحيح أن يكون إسناده متصلاً وأن يكون كل من رواته صادقاً غير مدلّس ولا مختلط[1] ، متصفاً بصفات العدالة ضابطاً متحفظاً ، سليم الذهن ، قليل الوهم ، سليم الاعتقاد .

قال : ويذهب من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه العدول ، فبعضهم حديثه صحيح ثابت وبعضهم حديثه مدخول .

قال : وهذا باب فيه غموض وطريق إيضاحه معرفة طبقات الرواة عن راوي الأصل ومراتب مداركهم ، فلنوضح ذلك بمثال: وهو أن نعلم أن أصحاب الزهري[2] مثلاً على خمس طبقات ولكل طبقة منها مزية على التي تليها : فمن كان في الطبقة الأولى فهو الغاية في الصحة وهو مقصد البخاري .

---

(١) المدلّس : هو أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه ، أو عمن عاصره ولم يلقه موهماً انه سمعه منه . والمختلط : هو الذي طرأ عليه الخطأ بسبب كبر السن أو العمى أو ضياع كتبه مثلاً .

(٢) هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله ، بن شهاب الزهري القرشي ، أبو بكر ، أول من دون الحديث وأحد كبار الحفاظ والفقهاء ، تابعي من أهل المدينة ، نزل الشام واستقر بها ومات على تخومها مما يلي الحجاز .

مولده ٥٨ هـ وفاته ١٢٤ هـ .

والطبقة الثانية : شاركت الأولى في التثبيت إلا أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان ، وبين طول الملازمة للزهري ، حتى كان فيهم من يزامله في السفر ويلازمه في الحضر .

والطبقة الثالثة : لم تلازم الزهري إلا مدة يسيرة فلم تمارس حديثه فكانوا في الإتقان دون الأول وهم على شرط مسلم .

قال الحافظ : وأكثر ما يخرج البخاري حديث الطبقة الثانية تعليقاً ، وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة تعليقاً أيضاً .

وهذا المثال الذي ذكرنا هو في حق المكثرين . فيقاس على هذا أصحاب نافع(١) وأصحاب الأعمش(٢) ، وأصحاب قتادة(٣)

---

(١) هو : نافع المدني ، أبو عبد الله ، من ائمة التابعين بالمدينة ، كان علامة في فقه الدين ، متفقاً على رياسته ، كثير الرواية للحديث، ثقة . وهو ديلمي الأصل ، أصابه عبد الله بن عمر في بعض مغازيه ، فاتخذه مولى له ، ونشأ في المدينة ، وارسله عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن ، توفي رحمه الله سنة ١١٧ هـ أو بعد ذلك .

(٢) هو : سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد ، الملقب بالأعمش ، تابعي مشهور ، اصله من بلاد الري ، ومنشؤه ووفاته بالكوفة . قال الذهبي : كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح .

مولده ٦١ هـ وفاته ١٤٨ هـ .

(٣) هو : قتادة بن دعامة السدوسي البصري : مفسر حافظ ضرير أكمه . قال الإمام أحمد بن حنبل : قتادة أحفظ أهل البصرة. مات بواسط بالطاعون .

مولده ٦١ هـ وفاته ١١٨ هـ .

وغيرهم ، فأما غير المكثرين ، فإنما اعتمد الشيخان في تخريج أحاديثهم على الثقة والعدالة وقلة الخطأ . لكن منهم من قوي الاعتماد عليه فأخرجا ما تفرد به كيحيى بن سعيد الأنصاري[1] ، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرجا له ما شاركه فيه غيره وهو الأكثر . انتهى مختصراً .

وتعقب القسطلاني أيضاً على ما ادعاه الحاكم من شرط البخاري بشيء من البسط ، وبأبسط منه السيوطي في «التدريب» وقال :في جملة كلامه ما نقض عليه الحازمي ما ادعى أنه شرط الشيخين بما في الصحيح من الغرائب التي تفرد بها بعض الرواة ، وأجيب بأنه إنما أراد أن كل راو في الكتابين يشترط أن يكون له راويان ، لا أنه يشترط أن يتفقا في رواية ذلك الحديث بعينه ، قال أبو علي الغساني ــ ونقله عياض عنه ــ : ليس المراد أن يكون كل خبر روياه يجتمع فيه راويان عن صحابيه ، ثم عن تابعيه فمن بعده ، فإن ذلك يعز وجوده ، وإنما المراد أن هذا الصحابي وهذا التابعي قد روى عنه رجلان ، خرج بهما عن حد الجهالة .

---

(١) هو : يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاري ، أبو سعيد ، قاض من اكابر اهل الحديث من أهل المدينة المنورة ، ولي القضاء بالمدينة المنورة زمن بني امية ، وولي قضاء الحيرة في العهد العباسي ، كان شبيهاً بالزهري في علمه وحفظه ، توفي سنة ١٤٤ هـ أو بعدها .

قال شيخ الاسلام : وكأن الحازمي فهم ذلك من قول الحاكم كالشهادة على الشهادة • وأجيب باحتمال أن يريد بالتشبيه بعض الوجوه لا كلها ــ كالاتصال واللقاء • وقال أبو عبد الله بن المورق: ما حمل عليه الغساني كلام الحاكم وتبعه عليه عياض وغيره ليس بالبين ، ولا أعلم أحداً روى عنهما أنهما صرحا بذلك ، ولا وجود له في كتابيهما ، وليس من الإنصاف التزامهما هذا الشرط من غير أن يثبت عنهما ذلك مع وجود إخلالهما بــه ، لأنهما إذا صح عنهما اشتراط ذلك كان في إخلالهما به درك عليها •

قال شيخ الاسلام : هذا كلام مقبول وبحث قوي ، وجملة ما قال الحازمي : ما سلم سنده من جهات الانقطاع والتدليس وغير ذلك من أسباب الضعف لا يخلو إما أن يسمى صحيحاً أو لا يطلق عليه اسم الصحة ، فإن كان يسمى صحيحاً فهو شرطه على ما صرح به ، ولا عبرة بالعدد ، وإن لم يطلق عليه اسم الصحة ، فلا تأثير للعدد[1] ، لأن ضم الواهي إلى الواهي لا يؤثر في اعتبار الصحة ، ولم يذهب إلى هذا أحد من أهل العام قاطبة •

وهكذا يتبين لنا أن شرط البخاري في صحيحه في القمة ، وأن كتابه قد بلغ أقصى درجات الصحة والوثاقة والتحري في نقل الصحيح الثابت ، والاحتياط الذي يبلغ إليه اجتهاد المجتهديــن ،

---

(١) وحاصله انه لا يذكر فيه إلا حديثـاً صحيحـاً لذاتـه لا صحيحاً لغيره .

وأمانة النقلة والرواة، وأن مؤلفه راعى فيه أدق الشروط التي عرفت في هذا الفن ، والتزم فيه التزامات لم تعرف عن أي مؤلف في هذا الموضوع •

الروايات المنتقدة على البخاري

انتقد بعض الحفاظ كالدارقطني على البخاري أحاديث ذكرها في صحيحه وليست على المستوى والدرجة العالية التي التزمها في صحيحه ، وعدة الأحاديث المسندة التي انتقدت على البخاري مائة وعشرة أحاديث : منها ما وافقه الإمام مسلم على تخريجه في صحيحه وهو اثنان وثلاثون حديثاً •

ومنها ما انفرد به البخاري وهو ثمانية وسبعون حديثاً •

وذكر الحافظ هذه الأحاديث في « مقدمة الفتح » وأجاب عن كل حديث ، ثم قال في آخره : هذا جميع ما تعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلل الأسانيد ، المطلعون على خفايا الطرق • وليست كلها من أفراد البخاري ، بل شاركه مسلم في كثير منها كما تراه ، ثم قال : وليست كلها قادحة ، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر ، والقدح فيه مندفع ، وبعضها الجواب عنه محتمل، واليسير منه الجواب عنه تعسف ، كما شرحته مجملاً في أول الفصل ، وأوضحته مبيناً إثر كل حديث منها ، فإذا تأمل المنصف ما حررته من ذلك عظم مقدار هذا المصنّف في نفسه ، وجل تصنيفه في عينه،

وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقيه بالقبول ، ثم قال : وأما سياق الأحاديث التي لم يتتبعها الدارقطني وهي على شرطه في تتبعه في هذا الكتاب فقد أوردتها في أماكنها من الشرح لتكمل الفائدة ، مع التنبيه على مواقع الأجوبة المستقيمة لئلا يستدركها من لايفهم ، وإنما اقتصرت على ماذكرته عن الدارقطني عن الاستيعاب ، فإني أردت أن يكون عنواناً لغيره ، لأنه الإمام المقدم في هـذا الفن، وكتابه أوسع في هذا النوع وأوعب . وقد ذكرت في أثناء ما ذكره عن غيره قليلاً على سبيل الأمثلة ، والله أعلم . انتهى .

وقال في أوله : وقبل الخوض فيه ، ينبغي لكل منصف أن يعلم أن هذه الأحاديث وإن كان أكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب ، فإن جميعها وارد من جهة أخرى ، وهي ما ادعاه الإمام أبو عمرو بن الصلاح وغيره ، من الإجماع على تلقي هذا الكتاب بالقبول والتسليم لصحة جميع ما فيه ، فإن هذه المواضيع متنازع في صحتها ، فلم يحصل له من التلقي ما حصل لمعظم الكتاب ، وقد تعرض لذلك ابن الصلاح في قوله : إلا مواضع يسيرة انتقدهاعليه الدارقطني وغيره ، وقال في « شرح مقدمة مسلم » له : ما أخذ عليهما ـ يعني على البخاري ومسلم ـ وقدح فيه معتمد مـن الحفاظ ، فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول ـ انتهى ـ . وهو احتراز حسن ، واختلف كلام العلامة النووي في هذه المواضع في شرح مقدمة مسلم فقال ما نصه : « قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيهما بشرطيهما ، ونزلت

عن درجة ما التزما ، وقد ألف الدارقطني في ذلك ، ولأبي زرعة الدمشقي [1] أيضاً عليهما استدراك ، ولأبي علي الغساني في جزء العلل من التقييد استدراك عليهما ، وقد أجيب عن ذلك أو أكثره» انتهى . وقال في شرح البخاري : قد استدرك الدارقطني على البخاري ومسلم أحاديث فطعن في بعضها ، وذلك الطعن مبني على قواعد لبعض المحدثين ضعيفة جداً مخالفة لما عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول فلا تغتر بذلك . انتهى .

وسيظهر من سياقها والبحث فيها على التفصيل أنها ليست كلها كذلك ، وقوله في شرح مسلم : وقد أجيب عن ذلك أو أكثره هو الصواب ، فإن منها ما هو الجواب عنها غير منتهض » . إلى آخر ما قاله الحافظ في المقدمة . ولقد ألف العراقي للأحاديث المخرجة في الصحيحين ، التي تكلم فيها بضعف وانقطاع ، لكنه لم يبيضه لكونه ذهب من المسودة كراستان ، كذا في « ذيل طبقات الحفاظ » لابن فهد [2] . وقد أجاب الحافظ عن هذه

---

(١) هو : عبد الرحمن بن عمرو ، أبو زرعة الدمشقي ، من أئمة زمانه في الحديث ورجاله ، من أهل دمشق ، وتوفي بها سنة ٢٨٠ هـ .

(٢) هو : محمد بن محمد الهاشمي الأصفوني ، ثم المكي ، مؤرخ ، من علماء الشافعية ، يتصل نسبه بمحمد بن الحنفية ، ولد بأصفون في صعيد مصر ، وانتقل مع أبيه إلى مكة وتوفي بها . من كتبه : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ .

مولده ٧٨٧ هـ وفاته ٨٧١ هـ .

الإيرادات كلها بالإجمال أيضاً ، بعد ما ذكر من جلالة شأنهما واهتمامهما بالصحة بقوله : فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضاً لتصحيحهما ، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما . فيندفع الاعتراض من حيث الجملة ، انتهى . وتبع الحافظ في ذلك السيوطي في « التدريب » من بعده .

وذكر صاحب « كشف الظنون » في شروح البخاري شرح أبي ذر أحمد بن إبراهيم بن السبط الحلبي المتوفى ٨٨٤ هـ ،لخصه من شروح ابن حجر والكرماني والبرماوي[1] ، وسماه « التوضيح للأوهام الواقعة في الصحيح » ، وكذلك للمحدث العلامة الجليل الشيخ خليل أحمد المهاجر المدني صاحب « بذل المجهود في حل أبي داود » إيرادات على البخاري .

وذكرها تلميذه النابغة أستاذي وشيخي المحدث العلامةمحمد زكريا حفظه الله في مقدمة « لامع الدراري » مع شرح وإيضاح ، من أراد أن يعرفها فعليه أن يرجع إليها .

---

(١) هو : محمد بن عبد الدائم العسقلاني البرماوي عالم بالفقه والحديث ، شافعي المذهب ، مصري ، أقام مدة بدمشق ، وتوفي بالقاهرة من كتبه : اللامع الصبيح على الجامع الصحيح .
مولده ٧٦٣ هـ وفاته ٨٣١ هـ .

الإيرادات على بعض الرواة في صحيح البخاري والجواب عنها :

ألف الحافظ أبو زرعة العراقي في ذلك تأليفاً ، وهو أول تآليفه وسماه « البيان والتوضيح لمن خرج له في الصحيح » ، وقد مس ّ بضرب من التجريح ، ذكره ابن فهد في «ذيل الطبقات» .
وللحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني المتوفى سنة ٥٠٧ هـ كتاب الجمع بين كتابي أبي نصر أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي في رجال البخاري ، وكتاب أبي بكر الأصبهاني في رجال مسلم ، جمعهما المقدسي في كتاب واحد وهو مطبوع بالهند ، ذكر فيه جملة رواته وتكلم على كل من تكلم فيه ، وقد ذكرهم الحافظ في « مقدمة الفتح » في « فصل مستقل » مرتباً على حروف المعجم والجواب عن الاعتراضات موضعاً موضعاً . وتمييز من أخرج منهم في الأصول والمتابعات والاستشهادات مفصلاً لذلك جميعه .

قال السيوطي في « التدريب » : إن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربع مائة وبضعة وثمانون رجلاً ، المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلاً ، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ست مائة وعشرون ، المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون ، انتهى .

وأجاب الحافظ في « مقدمة الفتح » إجمالاً فقال : وقبل الخوض فيه ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح

لأي راوٍ كان مقتضٍ لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ، ولا سيما ماانضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنه في الصحيح ، فهو بمثابة إطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما ، هذا إذا خرج لـه في الأصول ، فأما إن خرج لـه في المتابعات والشواهد والتعاليق فهذا بتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم ، وحينئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعناً ، فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا الإمام ، فلا يقبل إلا مبين السبب مفسراً بقادح يقدح في عدالة هذا الراوي، وفي ضبطه مطلقاً أو في ضبطه لخبر بعينه ، لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة ، منها ما يقدح ومنها مالايقدح ، وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح : هذا جاز القنطرة ، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه ، قال الشيخ أبو الفتح القشيري : هكذا نعتقد وبه نقول ، ولا نخرج إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف يزيد في غلبة الظن على المعنى الذي قدمناه في اتفاق الناس بعد الشيخين على تسمية كتابيهما بالصحيحين ، ومن لوازم ذلك تعديل رواتهما ، انتهى ما في « مقدمة الفتح » .

ومما يدلك على أن هـذا النقد ـ سواء كان للرجال أو للأحاديث ـ لم يؤثر في قيمته العلمية ، إجماع العلماء على تلقيه

بالقبول ، واتفاق جمهورهم أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، وكذلك من الظلم والجهل بالحقيقة ، والتسرع في الحكم والتقليد الأعمى ؛ أن يأخذ أحد هذه القواعد المرسومة المحدودة التي جاءت في كتب المتأخرين ، فيحكم على الصحيحين والموطأ للإمام مالك ، فيعاد الأمر جَذَعاً ويستأنف النظر في هذه الكتب التي تلقتها الأمة بالقبول ، ويسلط عليها المقاييس المحدودة التي تقبل النقاش ويتسع فيها المجال ، فهذا النوع من القسوة العلمية والجفاف الفكري والعمل التقليدي سيحدث فوضى تتزلزل بها أركان الدين ، ويضيع على الأمة كثيراً من جهودها وطاقاتها وأوقاتها ، وهو جهاد في غير جهاد ، أغنى الله خلف هذه الأمة عن القيام بأعبائه بما تولاه سلف هذه الأمة .

خصائص الكتاب غير التراجم

بسط شيخنا ــ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ــ هذه الخصائص في مقدمة كتاب « لامع الدراري » وها أنا أوردها هنا مختصرة :

١ ــ منها أن الإمام البخاري إذا وقعت له الفترة في التأليف ، ويبدؤه بعد الفترة ، يبدأ بالتسمية في أثناء الكتب كما ذكرها على باب « فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة » .

٢ ـ ومنها ما قال الحافظ بعد ذكر عدة توجيهات في البداية بقوله : « نحن الآخرون السابقون »[1] : والظاهر أن نسخة أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة كنسخة معمر عن همام عنه ، ولهذا قل حديث يوجد في هذه إلا وهو في الأخرى ، واشتملتا على أحاديث كثيرة أخرج الشيخان غالبها ، وابتداء كل نسخة منها حديث : « نحن الآخرون السابقون » فلهذا صدّر به البخاري فيما أخرجه من كل منها ، وسلك مسلم في نسخة همام طريقاً أخرى فيقول في كل حديث أخرجه منها : قال رسول الله ﷺ فيذكر أحاديث منها ، وقال رسول الله ﷺ فيذكر الحديث الذي يريده ، يشير بذلك إلى أنه من أثناء النسخة لا أولها .

٣ ـ إن الإمام البخاري يشير بصيغة التمريض إلى ضعف ما يورده ، قال النووي في « التقريب » : ما رواه بالإسناد المتصل فهو من المحكوم بصحته ، وأما ما حذف من مبتدأ إسناده واحد

---

(١) هو جزء من حديث طويل ، رواه البخاري ١/٢٩٨ في الوضوء ، باب البول في الماء الدائم ، و٢/٢٩٣ في الجمعة ، باب فرض الجمعة ، و ٢/٣١٨ في الجمعة ، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم ، و ٦/٣٨١ في أحاديث الأنبياء ، باب ماذكر عن بني إسرائيل ، و ٦/٨٢ و ١١/٤٥٢ و ١٢/١٩٠ و ١٢/٣٧١ و ١٣/٣٩٠ ومسلم رقم (٨٥٥) في الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فأكثر ، فما كان منه بصيغة الجزم كقال وفعل وأمر وذكر فلان كذا ، فهو حـُكم" بصحته عن المضاف إليه ، وما ليس فيه جزم كيـُروى ويذكر ويحكى ويقال ونحوها ؛ فليس فيه حكم بصحته عن المضاف إليـه ، وليس بواهٍ لإدخاله في الكتاب المرسوم بالصحيح . وتعقبه الحافظ وقال : ذلك محمول على قاعدة ذكرها لي شيخنا أبو الفضل بن الحسين الحافظ ، وهي : أن البخاري لا يخص صيغة التمريض بضعف الإسناد ، بل إذا ذكر المتن بالمعنى أو اختصره أتى بهما أيضاً ، لما علم من الخلاف في ذلك .

٤ ـ ومنها عادة البخاري إذا وقع في الحديث لفظة غريبة وقع مثلها في القرآن يحكي قول أهل التفسير فيها ، وهذا منها . قلت : وهذه العادة مستمرة في كتابه كثيرة الوقوع فيه ، ويقع في الإشكال في هذه المواضع من لا يحفظ القرآن .

٥ ـ ومنها ما هو قريب من ذلك أنـه كثيراً ما يشير إلى الآيات المناسبة للباب بذكر تفسير لفظ واحد منها روماً للاختصار .

فكأنه يذكر الآيـات الكثيرة بذكر ألفاظ عديدة في سطر واحد ، يظهر ذلك كثيراً في « كتاب بدء الخلق » و « كتـاب التفسير » ، وفي غيرهما قليلاً .

٦ ـ ومنها : أنه رحمه الله لم يدخل في صحيحه حديثاً إلا بعد الاستخارة .

٧ ــ ومنها : أن الإمام البخاري طالما يشير في أول كل كتاب منــه إلى زمان ذلك الحكم ومبــدأ شرعيته بنوع لطيف مــن الإشارات ، لا سيما إذا كان الأمر مختلفاً بينهم كما في أول كتاب الحيض « باب كيف كان بدء الحيض » الخ .

٨ ــ عدد الأحاديث المكررة في البخاري : أخبر البخاري أنه لا يورد في صحيحه حديثاً مكرراً ، وقال في « باب التعجيل إلى الموقف » : ولكني أريد أن أدخل فيه غير معاد ، قال الحافظ : يعني حديثاً لا يكون تكرر كلــه سنداً ومتناً ، وما يوجد مــن الأحاديث المكررة هي ليست بمكررات عند المحدثين ، إذ الاختلاف في السند أو الراوي أو في لفظ حديث يخرج الحديث من التكرار عندهم ، وإن كان قد وقع شيء فعن غير قصد ، وهو قليل جداً ، وما وقع فيه من المكررات سنداً ومتناً حسب إحصاء القسطلاني عددها اثنان وعشرون حديثاً [1] .

٩ ــ ثلاثيات البخاري : للبخاري في صحيحه أحاديث علا فيها السند ، حتى صار بينه وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة ، وهي المعروفة بالثلاثيات وعددها اثنان وعشرون حديثاً ، وقد أفردها

---

(١) الإحصاء الدقيق الذي قام به صديقنا الفاضل محمد يونس الجونفوري ــ شيخ الحديث بمدرسة «مظاهر علوم» حالياً ــ للروايات المكررة في « جامع البخاري » عددها مائة وثمانية أحاديث، وقد جمعها في رسالته المسماة بـ « إرشاد القاصد إلى ما تكرر في البخاري بإسناد واحد » .

بعض العلماء بالتأليف والتعليق ، ذكر صاحب « كشف الظنون » ثلاثيات البخاري ، وقال : وعليه شرح لطيف لمحمد شاه بن الحاج حسن الحنفي المتوفى ٩٣٩ هـ •

وعليه تعليق للملا علي القاري الحنفي المتوفى ١٠١٤ هـ •

ونظم اللآلي شـرح ثلاثيات البخاري بالفارسية للشيـخ عبد الباسط القنوجي المتوفى ١٢٢٣ هـ •

وإغاثة القاري شرح ثلاثيات البخاري للشيخ يحيى بن أمين العباسي المتوفى ١١٤٤ هـ •

أخرج منها إحدى عشرة عن مكي بن إبراهيم ، والستة عن أبي عاصم النبيل الضحاك بن مخلد ، وأخرج ثلاثة عن محمد بن عبد الله الأنصاري ، وواحدة عن عصام بن خالد الحمصي ، وواحدة عن يحيى بن خلاد الكوفي •

١٠ ــ الارتباط اللطيف بـين أول الكتاب وآخره : قال الحافظ : قال شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[١] في كلامه على مناسبات أبواب صحيح البخاري الذي نقلته عنه في أواخر المقدمة: لما كان أصل العصمة أولاً وآخراً هو توحيد الله تعالى ، فختم

---

(١) هو : عمر بن رسلان ، الكناني ، العسقلاني الأصل ، ثم البلقيني ، سراج الدين ، مجتهد حافظ للحديث ، تعلم بالقاهرة ، وولي قضاء الشام ، من كتبه : «مناسبات تراجم ابواب البخاري» .
مولده ٧٢٤ هـ وفاته ٨٠٥ هـ بالقاهرة .

بكتاب التوحيد ، وكان آخر الأمور التي يظهر بهـا المفلح من الخاسر ، ثقل الموازين وخفتهـا ، فجعله آخر تراجم الكتاب ، فبدأ بحديث « الأعمال بالنيات »[1] وذلك في الدنيا ، وختم بأن الأعمال توزن يوم القيامة ، وأشار إلى أنه إنما يثقل منها ما كان بالنية الخالصة لله تعالى . وقال الكرماني : ختم بمباحث كلام الله لأنه مدار الوحي وبه تثبت الشرائع ، ولهذا افتتح ببدء الوحي، والانتهاء إلى ما منه الابتداء ، ونعم الختم بها ، ولكن ذكر هذا الباب ليس مقصوداً بالذات ، بل هو لإرادة أن يكون آخر الكلام التسبيح والتحميد ، كما أنه ذكر حديث إنما الأعمال بالنيات في أول الكتاب لإرادة بيان إخلاصه ، إلى آخر ما قال .

---

(١) رواه البخاري ١/٩ ـ ١٥ باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ومسلم رقم (١٩٠٧) في الإمارة ، باب قوله ﷺ « إنما الأعمال بالنية » وانه يدخل فيه الفزو وغيره من الاعمال ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبه صدر الإمام البخاري كتابه الصحيح وأقامه مقام الخطبة له ؛ إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة . وهو أحد الأحاديث التي يدور عليها الدين . ولهذا قال عبد الرحمن ابن مهدي رحمه الله : مـن أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بحديث « إنما الأعمال بالنية » وانه يدخل فيه الفزو وغيره من الاعمال ، من من كتابه ، ولم يصح هذا الحديث عن النبي ﷺ الا مـن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

١١ ــ التذكير بالموت في آخر كل كتاب : قال الحافظ : ومما اتفق له من المناسبات التي لم أرَ من نبه عليها ، أنه يعتني غالباً بأن يكون في الحديث الأخير من كل كتاب من كتب هذا الجامع مناسبة لختمه ، ولو كانت الكلمة في أثناء الحديث الآخر أو الكلام عليه ، كقوله في آخر حديث بدء الوحي : فكان ذلك آخر شأن هرقل • وقوله في آخر كتاب الإيمان : ثم استغفر ونزل • وفي آخر كتاب العلم : وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين ، إلى آخر ما بسطه في « مقدمة فتح الباري » •

وقال شيخنا وأستاذنا العلامة محمد زكريا ــ الذي درس الجامع الصحيح للبخاري في « مدرسة مظاهر علوم ــ الهند » (٥٢) عاماً ــ : إن الإمام البخاري رحمه الله يذكّر الرجل في آخر كل كتاب موته ، فإن الإشارات في أواخر هذه الكتب إلى نهاية الرجل وتذكيره موته أقرب وأظهر ، فكأنه ينبه على ختم كل كتاب على التذكير لِهاذمِ اللذات بذكر لفظ الآخرة أو الهلاك أو الاستغفار أو بذكر أهوال يوم القيامة وأحوالها كما يظهر ذلك بأدنى تأمل في أواخر الكتب •

فإن قوله في آخر الوحي : فكان ذلك آخر شأن هرقل ، أقرب إلى حال القيامة باعتبار الإيمان والكفر المرتب عليهما الثواب والعقاب ، وأصرح من ذلك في هذا الحديث : فليقتلوا من فيهم

من اليهود • وفي آخر كتاب الإيمان قوله : ثـم استغفر ، أقرب تذكيراً للمـوت ، لا سيمـا بعـد نـزول سورة النصر • وأوضح من ذلك ما في حـديث البـاب من قوله : يـوم مات المغيرة بن شعبـة[1] • وفي آخـر كتاب العلم : لباس المحـرم ، أشـد تذكيراً للموت والكفن • إلى آخـر ما بسط في « مقدمـة لامع الدراري » •

طريق تنظيمه في كتابه

لقد ابتدع المؤلف في تنظيم كتابه أسلوباً دقيقـاً ، فالنظر الدقيق في مناسبة الترتيب بـين الكتب والأبواب المذكورة في صحيح البخاري يظهر الدقائق الكثيرة العجيبة في ترتيب الكتب والأبواب ، حتى أصبح الكتاب وحدة متناسقة متكاملة ، وعقداً منظماً ، كل لؤلؤة تلتئم مع أختها ، وتنسجم مع شقيقتها ، وتخدم غاية واحدة ، هي غايـة الجمال والكمال ، وفصّله شيخنا في « مقدمة اللامع » فارجع إليها ، وأورد كلام الحافظ ابن حجر ناقلاً عن « مقدمة فتح الباري » مع الشرح والإيضاح في كتابه

(١) هو : المغيرة بن شعبة الثقفي ، صاحب رسول الله ﷺ ، وأحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم ، له ١٣٦ حديثاً .
مولده ٢٠ ق هـ وفاته ٥٠ هـ .

« الأبواب والتراجم للبخاري » فأحسن وأجاده وما قال الباجي[1] وغيره من العلماء : كان في الكتاب أشياء لم تتم ، وأشياء مبيضة ، فأضافها بعض تلاميذه • أورد عليه القسطلاني في مقدمة شرحه إذ قال : وهذا الذي قاله الباجي فيه نظر من حيث أن الكتاب قرىء على مؤلفه ، ولا ريب أنه لم يقرأ عليه إلا مرتباً ومبوباً •

قال الحافظ : قال ـ أي البلقيني رحمه الله ـ : بدأ البخاري بقوله : كيف كان بدء الوحي ، ولم يقل كتاب الوحي ، ولا كتاب بدء الوحي ، لأن بدء الوحي من بعض ما يشتمل عليه الوحي[2]• قال : قدمه لأنه منبع الخيرات ، وبه قامت الشرائع ، وجاءت الرسالات ، ومنه عرف الإيمان والعلوم ، وكان أوله إلى النبي ﷺ بما يقتضي الإيمان من القراءة والربوبية ، وخلق الانسان ، فذكر بعده « كتاب الإيمان » إلى آخر ما بسط الحافظ في مناسبة الترتيب بين الكتب والأبواب •

---

(١) هو : سليمان بن خلف ، التجيبي القرطبي ، أبو الوليد الباجي ، فقيه مالكي كبير ، ومن رجال الحديث ، أندلسي ، رحل إلى البلاد الاسلامية ، وعاد إلى الأندلس فولي القضاء في بعض أنحائها . من كتبه : « التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح » .

مولده ٤٠٣ هـ وفاته ٤٧٤ هـ .

(٢) قال شيخنا : قلت : ويظهر لي أنه إنما عراه من باب ، لأن كل باب يأتي بعده ينقسم منه ، فهو أم الأبواب فلا يكون قسيماً لها .

تكراره لبعض الأحاديث أو تقطيعها أو اختصارها

لقد جرى الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ في صحيحه على تكراره لبعض الأحاديث أو تقطيعها أو اختصارها في الأبواب المختلفة ، وذلك بحسب ما يقتضيه المقام ، وبحسب ما يستنبط منه الأحكام . قال الداعية الكبير أبو الحسن علي الحسني الندوي في تقديم « الأبواب والتراجم » : وشأن البخاري مع الحديث النبوي شأن العاشق الصادق ، والمحب الوامق مع الحبيب ، الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال ، وكساه ثوباً من الروعة والجلال ، فهو كلما نظر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله ، فازداد افتناناً وهياماً ، ورأى جماله يتجدد في كل حين ؛ فإذا الوجه غير الوجه ، والجمال غير الجمال ، فلا قديم في الحب ، ولا إعادة عن المحب ، وصدق الشاعر :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظرا

ولذلك نرى الإمام البخاري لا يكاد يشبع من استخراج المسائل ، واستنباط الفوائد ، والنزول إلى أعماق الحديث ، والتقاط الدرر منه ، والخروج على قرّائه بها ؛ حتى يذكر حديثاً واحداً عشرين مرة .

وقد روى حديث بريرة[1] عن عائشة أكثر من اثنتين وعشرين مرة ، واستخرج أحكاماً وفوائد جديدة •

وروى قصة موسى والخضر في أكثر من عشرة مواضع •

وأخرج حديث كعب بن مالك في تخلفه عن غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع ، وفوائده أكثر من خمسين •

فكأنه تأخذه النشوة والطرب عند رواية الحديث ، فلا يمل من إعادته ، وينشد بلسان الحال :

أَعِدْ ذِكْرَ نعمانٍ لنا إن ذكره
هو المسك ما كررتــه يتضوّع

وكأنه يتمثل ببيت الشاعر :

وحدثتنا يا سعدُ عنهم فزدتَنا
شجوناً،فزدنا من حديثك ياسعدُ

ثم يشتعل ذكاؤه ــ الذي ضرب فيه بسهم وافر ــ ويتوقد ذهنه وتسيل قريحته ، فيفلت زمام التأليف ، ويرسل النفس على سجيتها ، ويستخرج من حديث واحد نتائج وفوائد لا تدور بخلد كثير من الأذكياء ، وما ذلك إلا لحدة ذهنه ، وإفراط حبه ، ولم

---

(١) هي مولاة عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : اشتريها واعتقيها فإنما الولاء لمن أعتق . وهي في الصحيحين .

يزل الحب ملهماً للبدائع ، ملهباً للقرائح ، والمحب يقع على مالا يقع عليه المتأمل المرهق لجسمه والمتعب لعقله . انتهى مختصراً .

الأبواب والتراجم للبخاري

ما أورده الإمام البخاري في تأليفه من الأبواب والتراجم ، قد تعقد على فهم كثير من الشراح والمحدّثين، حتى قال الكرماني: إن هذا عجز عنه الفحول البوازل من الأعصار ، والعلماء الأفاضل من الأمصار ، فتركوها بأعذار .

قال الإمام ولي الله الدهلوي [1] : وإنما أراد أيضاً أن يفرغ جهده في الاستنباط من قول رسول الله ﷺ ، ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جداً ، وهذا أمر لم يسبق إليه غيره ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث في الأبواب ، ويودع في تراجم الأبواب سر الاستنباط .

ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء : « فقه البخاري في تراجمه » .

قال القسطلاني: وبالجملة فتراجمه حيّرت الأفكار، وأدهشت العقول والأبصار ، ولقد أجاد القائل :

أعيى فحولَ العلم حلُّ رموزها
ما أبداه في الأبواب من أسرار

(١) في شرح تراجم أبواب البخاري صفحة (٧) .

وإنما بلغت هذه المرتبة وفازت بهـذه المنقبة لما روي أنه بيّضها بين قبر النبي ﷺ ومنبره ، وأنه كان يصلي لكل ترجمة ركعتين .

المؤلفات في الأبواب والتراجم

تقرر عند المشتغلين بصناعة الحديث تدريساً وتصنيفاً ،وشرحاً وتحقيقاً ، أن الأبواب والتراجم في الجامع الصحيح ، من أدق البحوث والمطالب ، حتى أصبح ذلك شعاراً لهذا الكتاب ، يتميز به عن أقرانه الصحاح على جلالة قدرها وفخامة شأنها .

ولذلك عني ببيان تراجمه العلماء قديماً وحديثاً ، وأفردوا لها التصانيف ، واجتهدوا في بيان المناسبات وإبداء الاحتمالات الكثيرة في التراجم . والمؤلفات في هذا الموضوع التي ذكرها الملا كاتب جلبي المعروف باسم حاجي[1] خليفة في كتابه المشهور « كشف الظنون » ثلاثة وهي :

١ ـ كتاب للإمام ناصر الدين علي بن محمد بن المنير الاسكندراني سماه « المتواري على تراجم البخاري » .

---

(١) هو : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ، المعروف بحاجي خليفة : مؤرخ بحاثة،تركي الأصل، مولده ووفاته في القسطنطينية. من كتبه « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » .
مولده ١٠١٧ هـ وفاته ١٠٦٧ هـ .

٢ ـ « ترجمان التراجم » لأبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المتوفى ٧٢١ هـ • قال چلبي : وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله •

٣ ـ « حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة » وهي مائة ترجمة للفقيه أبي عبد الله محمد بن منصور ابن حمامة المغراوي السجلماسي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ؛ سماه « مصابيح الجامع » •

٤ ـ وأضاف كتاباً رابعاً الشيخ عبد العزيز الدهلوي[١] في « بستان المحدثين » وهو « تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح » لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الاسكندراني[٢] ، الملقب ببدر الدين المعروف بالدماميني •

---

(١) هو : عبد العزيز بن أحمد (ولي الله) بن عبد الرحيم العمري الفاروقي ، الملقب سراج الهند : مفسر عالم بالحديث ، من أهالي « دهلي » بالهند .

مولده ١١٥٩ هـ وفاته ١٢٣٩ هـ .

(٢) هو : محمد بن أبي بكر ، المخزومي القرشي ، بدر الدين المعروف بابن الدماميني : عالم بالشريعة وفنون الأدب ، استوطن القاهرة ولازم ابن خلدون وولي قضاء المالكية . من كتبه « شرح البخاري » .

مولده ٧٦٣ هـ بالاسكندرية ، وفاته ٨٢٧ هـ بالهند .

٥ ــ « مختصر مناسبات تراجم البخاري لأحاديث الباب » :
تأليف العلامة بدر الدين محمد بــن إبراهيم بن سعد الله بــن جماعة[١] الكناني الحموي ــ خط (٢١٠) مجاميع دار الكتب المصرية .

٦ ــ « مناسبات تراجم أبواب البخاري لأحاديث الباب »
تأليف العلامة بدر الدين البلقيني المتوفى سنــة ٨٠٥ خط ــ (٣٠٥) مجاميع ، وله نسخة أخرى جزء ــ ١ ــ مجلد ــ ١ ــ خط ــ (٥٩٠) دار الكتب المصرية .

٧ ــ « شرح تراجم البخاري » : للعارف الرباني الإمام ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ١١٧٦ هـ ــ المطبوع بالهند[٢] .

٨ ــ « الأبواب والتراجم للبخاري » ــ باللغة الأردية ــ لشيخ المشايخ مولانا محمود حسن الديوبندي المتوفى ١٣٣٩ هـ ، بلغ إلى « باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله » من كتــاب العلم ، ثم اخترمته المنية قبل تكميله ، طبع هذا الكتاب بالهند .

---

(١) هو : محمد بن إبراهيم ، بن سعد الله ، بــن جماعة ، الكناني الحموي الشافعي ، قاض من علماء الحديث وسائر علوم الدين ، ولد بحماة ولي الحكم والخطابة بالقدس ، ثم القضاء بمصر ، فقضاء الشام ، ثم قضاء مصر .

مولده ٦٣٩ هـ ، وفاته ٧٣٣ هـ .

(٢) وقد طبع بمصر مرة أخرى ، نشره زكريا علي يوسف .

٩ ـ كتاب « الأبواب والتراجم للبخاري » : للمحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ـ حفظه الله ـ طبعت ثلاثة أجزاء منه والجزء الرابع قيد الطبع ، ويقع الكتاب في حوالي ثمانية أجزاء .

هذا الكتاب يحتوي على بحث وافٍ لكل ما يتصل بالأبواب والتراجم للبخاري ، كان المؤلف ـ بارك الله في حياته ـ ذكر في كتابه كل ماجاء من أصول الشيخ الإمام المحدث ولي الله الدهلوي؛ والقواعد الكلية للتطبيق بين الأبواب والتراجم ، وأبواب لاترجمة لها ، وكذلك كل ما جاء في رسالة الشيخ العلامة محمود حسن الديوبندي ، وكذلك كل ما وجد من فوائد في دروس الإمام الرباني الشيخ مولانا رشيد أحمد الكنكوهي والمحدث الجليل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري ؛ وكذلك كل ما وجد من أصول وقواعد في كلام شراح البخاري فاستوعبها ، وزاد عليها مما كان خاطره أبا عذرته ، ولم يسبق إليه ، حتى بلغ عدد هذه الأصول والقواعد الكلية إلى سبعين أصلاً وقاعدة ، وتناول كل كتاب من كتب الجامع الصحيح ، وتكلم على أبوابها باباً باباً وترجمة ترجمة، فجاء الكتاب سفراً ضخماً ، وأصبح موسوعة أو دائرة معارف بالتعبير الحديث ، في كل ما يتصل بالأبواب والتراجم في الجامع الصحيح للبخاري في كل كتاب ، مغنياً عن غيره ، يدل على غزارة مادة المؤلف وسعة نظره في علم الحديث .

رواة نسخ الكتاب

قال الحافظ في المقدمة : ذكر الفربري : أنه سمع صحيح البخاري من مؤلفه تسعون ألفاً ، وإنه لم يبق أحد يرويه عنه غيري ، قال الحافظ : أطلق ذلك بناءً على علمه ، وقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة البزدوي (بفتح الموحدة وسكون الزاي) .

وإن المسموع عند المشايخ خمس رواة[1] للبخاري ، وكل واحد منهم صاحب نسخة ،وهذا إجماله :

١ ـ أبو طلحة منصور بن محمد البزدوي المتوفى ٣٢٩ هـ .

٢ ـ حماد بن شاكر المتوفى في حدود ٢٩٠ أو ٣١١ هـ .

٣ ـ إبراهيم النسفي المتوفى ٢٩٤ هـ .

(ذكر الحافظ في « الفتح » أسانيده إلى هؤلاء الثلاثة الأخيرة فارجع إليه) .

٤ ـ القاضي الحسين بن إسماعيل المحاملي المتوفى ٣٣٠ هـ المختلف فيه بين الحافظ والكرماني .

---

(١) قال في هامش مقدمة اللامع : وهل لأبي جعفر محمد بن حاتم وراق البخاري ايضاً نسخة؟ لم اجدها في ذكر النسخ، نعم اخذ عنه الفربري في موضع كما ترى في البخاري في عدة مواضع ، ولو ثبت فهذه نسخة سادسة للبخاري .

٥ ـ الفربري المتوفى ٣٢٠ هـ •

أما أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قرينة (بقاف ونون بوزن يسيرة) البزدوي فكانت وفاته سنة ٣٢٩ هـ ، وهو آخر من حدث عن البخاري صحيحه كما جزم به ابن ماكولا[١] وغيره ، وكذا في « الفتح » •

وأما حماد بن شاكر : قال الكوثري في هامش شروط الأئمة للحازمي : كذا البخاري لولا إبراهيم بن معقل النسفي وحماد ابن شاكر الحنفيان لكاد ينفرد إبراهيم بن محمد بن سفيان الحنفي عن مسلم سماعاً ، إهـ • والصواب أنه توفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة هـ •

وأما إبراهيم بن معقل فذكره الذهبي في « التذكرة » ، فقال : إبراهيم بن معقل بن الحجاج العلامة أبو إسحاق النسفي ، قاضي نسف[٢] وعالمها ومصنف المسند ، وكان فقيهاً حافظاً بصيراً باختلاف العلماء عفيفاً صيناً ، مات في ذي الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين ، إهـ •

---

(١) هو : علي بن هبة الله : أمير ، مؤرخ ، من العلماء الحفاظ الأدباء ، من كتبه « الاكمال » في المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب .

مولده ٤٢١ هـ ، وفاته ٤٨٦ هـ .

(٢) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن ، ويقال لها أيضاً « نخشب » .

وأما القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل القاضي الضبي المحاملي ، فقد قال السيوطي عنه في « طبقات الحفاظ » : هو شيخ بغداد ومحدثها ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وصنف وجمع . روى عنه دعلج والدارقطني ، وكان فاضلاً ديناً صدوقاً ، وولي قضاء الكوفة ستين سنة ثم استعفى ، وكان يحضر بمجلسه عشرة آلاف رجل ، مات في ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاث مائة .

وأما الفربري: فهو الذي عليه مدار الروايات في هذا الزمان. قال الحافظ في « المقدمة » : والرواية التي اتصلت بالسماع في هذه الأعصار وما قبلها هي رواية محمد بن يوسف بن مطر بن صالح ابن بشر الفربري . وفي « اليانع الجني » : بكسر الفاء ، قرية بينها وبين بخارى ثلاث مراحل . قال النووي : وهي بكسر الفاء وفتح الراء وإسكان الباء الموحدة . ويقال : بفتح الفاء أيضاً . وقال الحازمي : الفتح أشهر . كان سماع الفربري من البخاري — يعني صحيحه — مرتين : مرة بفربر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين . وتوفي الفربري لعشر بقيت من شوال سنة عشرين وثلاث مائة .

وقال السمعاني [1] في أماليه : ولد الفربري سنة إحدى

---

(1) هو عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي ، مؤرخ رحالة ، من حفاظ الحديث مولده ووفاته بمرو ، رحل إلى أقاصي البلاد ، ولقي العلماء والمحدثين ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، من كتبه: « الأنساب » .

مولده ٥٠٦ وفاته ٥٦٢ هـ .

وثلاثين ومائتين • قال النووي في مقدمة شرحه : اعلم أن صحيح البخاري متواتر عنه واشتهر عنه من رواية الفربري ، وأما الرواة عن الفربري ، فهم اثنا عشر رجلاً • تسعة في الفتح ، والاثنان في شرح النووي ، وواحد في « اليانع الجني » وبسطت تذكرتهم في « مقدمة اللامع » •

المؤلفات في الأسانيد

وقد طبعت عدة مؤلفات في أسانيد العلماء المتأخرين المشهورين في الحديث ــ في مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند •

منها : الأمم لإيقاظ الهمم ، في أسانيد الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الحسن بن شهاب الدين الكروري الكوراني الشهزوري ثم المدني ، المولود سنة ١٠٢٥ هـ والمتوفى سنة ١١٠٢ هـ •

ومنها : « الامداد » في أسانيد الشيخ جمال الدين عبد الله ابن سالم البصري المكي المولود رابع شعبان سنة ١٠٤٩هـ المتوفى رابع رجب سنة ١١٣٤ هـ •

ومنها : « بغية الطالبين » للشيخ أحمد النخلي المكي،فرغ من تأليفه في السابع والعشرين من شوال ١١١٤ هـ •

ومنها : « قطف الثمر » للشيخ صالح بن محمد بن نوح العمري الفلاني المدني المتوفى ١٢١٨ هـ •

ومنها : « إتحــاف الأكابــر » للقاضي محمد الشوكاني المتوفى ١٢٥٠ هـ •

ومنها : « سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند » للشيخ الأمير نواب صدّيق حسن خان ، طبع بالهند •

ومنها : « الإرشاد إلى مهمات الإسناد » للشيخ الإمام ولي الله الدهلوي المتوفى ١١٧٦ هـ ، طبع بالهند مراراً •

هذا وقد تشرفت بالقراءة والسماع « للجامع الصحيح » لأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري أول مرة في سنة ١٣٥٣هـ ــ في دار العلوم ندوة العلماء ، لكهنو ــ الهند ــ على الشيخ المحدث حليم عطاء ــ نور الله مرقده ــ وسنده يتصل بالقاضي الشوكاني بواسطتين أيضاً •

ولي إجازة عامة لجميع الكتب الستة وغيرها من الشيخ المحدث محمد يوسف البنوري ــ حفظــه الله تعالى ــ صاحب « معارف السنن » فاظر أسانيده في « نفحة العنبر » •

وقد قرأت « الجامع الصحيح » وسمعت بعضه من أول الكتاب إلى آخره على الشيخ المحدث الكبير العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ــ حفظه الله ــ ريحانة الهند ، وبركة العصر ، نزيل المدينة المنورة حالياً في سنة ١٣٧٨ هـ • وكان هو قرأ أولاً على والده المرحوم العلامة المحدث محمد يحيى الكاندهلوي نور الله مرقده ، في سنة ١٣٣٤ هـ ، وهو قرأ على شيخه الإمام العارف

الرباني رشيد أحمد الكنكوهي في أوائل السنة الثالثة عشرة بعد ثلاث مائة وألف ، ١٣١٣ هـ . والإمام الكنكوهي حصل له الفراغ من جميع الكتب الدرسية في سنة خمس وستين ومائتين وألف كما في « مقدمة اللامع » وقد كتب له الإجازة الشيخ عبد الغني المجددي المدني في المحرم سنة ١٢٧٠ هـ .

وأسانيد الشيخ عبد الغني ـ قدس الله سره ـ معروفة « باليانع الجني » مطبوع بالهند ، ثم قرأه شيخنا العلامة محمد زكريا ـ حفظه الله ـ مرة ثانية في سنة خمس وثلاثين وثلاث مائة وألف ، ١٣٣٥ هـ ، على الشيخ الكبير المحدث الجليل مولانا خليل أحمد المدني ـ نور الله مرقده ـ صاحب « بذل المجهود في حل أبي داود » . وجدول إسناده مذكور في « مقدمة اللامع » فارجع إليه .

شروح الجامع الصحيح

لم يحظ كتاب من كتب النشر في المكتبة العالمية بعناية الناس، مثل ما حظي كتاب « الجامع الصحيح » للإمام البخاري ؛ فقد اعتنى العلماء والمؤلفون به : شرحاً له ، واستنباطاً للأحكام منه ، وتكلماً على رجاله وتعاليقه ، وشرحاً لغريبه ، وبياناً لمشكلات إعرابه ، إلى غير ذلك ، وقد تكاثرت شروحه حتى قال صاحب « كشف الظنون » : إنها تنوف على اثنين وثمانين شرحاً ، وذلك ما عدا ما ألف بعد عصر صاحب « الكشف » .

وبلغ عدد شروحه والتعليقات عليه إلى واحد وثلاثين ومائة كتاباً (١٣١) على حسب استقراء شيخنا في مقدمة اللامع ، وعلمه واطلاعه ، وقد يكون العدد أكثر من هذا . ولا شك أن العالم الإسلامي أوسع مما تخيله الجغرافيــون ، والتاريــخ الإسلامي العلمي أغنى مما دوّنه المؤرخون ، وفي الزوايا خبايا ، لم تقع عليها عين ، ولم تطلع عليها الشمس .

وها أنا ذا أذكر بعض الشروح المعروفة للجامع الصحيح :

١ ــ « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » لشيخ الإسلام، إمام الحفاظ في زمانه ، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي ابن محمود بن أحمد بن أحمد الكناني العسقلاني، المصري الشافعي. ولد في « مصر » ثالث عشر من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة ، وتوفي ليلة السبت المسفرة عن اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمان مائة ، ودفن في القرافة الصغرى في القاهرة .

وأشهر تآليفه « فتح الباري » في ثلاثة عشر مجلداً ومقدمته في مجلد ضخم مسماة بـ « هدي الساري لمقدمة فتح الباري » تشتمل على مقاصد الشرح ، وأحوال المصنف ، وموضوع كتابه ، وبيان المهم من رجاله ، وتخريج تعليقاته ، ومعاني لغاته الغريبة ، وغير ذلك من الأمور الكثيرة .

قال السخاوي[1] : كان الابتداء في تأليفه أوائل سنة سبع عشرة وثمان مائة على طريق الإملاء ، ثم صار يكتب من خطه ، وتداوله الطلبة شيئاً فشيئاً . كان الاجتماع في يوم من الأسبوع للمقابلة والمباحثة ، وذلك بقراءة الشيخ ابن الخضر ، إلى أن انتهى في أول يوم من رجب سنة اثنتين وأربعين وثمان مائة،سوى ماألحق فيه بعد ذلك . فلم ينته إلا قبل وفاة المؤلف بيسير ، وجاء بخط مؤلفه في ثلاثة عشر سفراً ، وكان ـ بعد الفراغ من المقدمة ـ شرع في شرح أطال فيه النفس ، وكتب منه قطعة تبلغ مجلداً فخشي الفتور عن تكميله على تلك الصنعة ، فابتدأ في شرح متوسط وهو « فتح الباري » ، كذا في « اللامع » .

وفي « كشف الظنون » : حرّر إلى أن انتهى في أول يوم من رجب ٨٤٢ هـ ؛ سوى ما ألحقه فيه بعد ذلك ، فلم ينته إلا قبل وفاته ، فلما تم عمل مصنِّفه وليمة عظيمة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين إلا النادر ، في يوم السبت ثاني شعبان من السنة المذكورة ، وقرىء في المجلس الأخير ، وهناك حضره الأئمة

---

(١) هو : محمد بن عبد الرحمن بن محمد ، السخاوي ، تلميذ الحافظ ابن حجر ، مؤرخ ، حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب، ساح في البلاد سياحة طويلة ، وصنف زهاء مائتي مصنف اشهرها « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » و « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

مولده بالقاهرة ٨٣١ هـ ، وفاته بالمدينة المنورة ٩٠٢ هـ .

كالقاياتي والونائي والسعد الديري ، وكان المصروف في الوليمة المذكورة نحو خمس مائة دينار ، فطلبه ملوك الأطراف بالاستكتاب واشترى بنحو ثلاث مائة دينار ، وانتشر في الآفاق ، انتهى •

ولا يزال الكتاب محل الحظوة من جميع العلماء قديماً وحديثاً ، وإنه لمعتمد كل من يكتب في الحديث •

ولما طلب من العلامة القاضي الشوكاني(١) ـ المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ ، صاحب « نيل الأوطار » ـ أن يشرح صحيح البخاري التزم جادة الإنصاف ، واعترف للحافظ ابن حجر بالإمامة والسبق، فقال الحديث المشهور : « لا هجرة بعد الفتح » ، يقصد التورية •

ونقل العلامة ابن خلدون (٢) في مقدمة تاريخه عن شيوخه أنهم

---

(١) هو : محمد بن علي الشوكاني : فقيه مجتهد من كبار علماء أهل اليمن من أهل صنعاء ، له ١١٤ مؤلفاً ، منها : « فتح القدير » في التفسير ، و « البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع » .

مولده ١١٧٣ ، وفاته ١٢٥٠ هـ .

(٢) هو : عبد الرحمن بن محمد ، الحضرمي الإشبيلي ، من ولد وائل بن حجر (الصحابي) الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من اشبيلية ، ومولده ومنشؤه بتونس ، اشتهر بكتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر » وأوله « المقدمة » التي اشتهرت بـ « مقدمة ابن خلدون».

مولده ٧٣٢ ، وفاته ٨٠٨ هـ .

قالوا : إن شرح البخاري دَيْن في عنق هذه الأمة • فذلك إنما قالوه قطعاً قبل أن يؤلف الحافظ ابن حجر العسقلاني شرحه[1] وقد وفى الحافظ ابن حجر هذا الدين بشرحه الجليل •

والشرح يقع في ثلاثة عشر مجلداً ، ومقدمته في مجلد كبير ، وقد طبع مراراً في الهند ومصر ، وأجود طبعاته طبعة بولاق القديمة •

٢ ـ « عمدة القاري في شرح البخاري » للشيخ العلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفي[2] ، المولود سنة ٧٦٢هـ والمتوفى في سنة ٨٥٥ هـ ، كان ـ رحمة الله عليه ـ أسن من الحافظ ، وبقي بعده ثلاث سنين ، وعُمِّر تسعين سنة •

وكتب في آخر « عمدة القاري » : وكان ابتداء شروعي في تأليفه في آخر شهر رجب الأصم سنة عشرين وثمان مائة ، وفرغت من الجزء الأول في السادس عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة عشرين وثمان مائة ، ومن الجزء الثاني نهار الثلاثاء السابع من

---

(١) توفي ابن خلدون عام ٨٠٨ هـ ، وشرع الحافظ في تأليف شرحه عام ٨١٧ هـ .

(٢) هو : محمود بن أحمد ، بدر الدين العيني الحنفي : مؤرخ علامة ، من كبار المحدثين ، أصله من حلب ، وأصبح له شأن عند حكام مصر ، ثم صرف عن الوظائف وعكف على التأليف والتدريس .
أشهر مؤلفاته « عمدة القاري في شرح البخاري » .
مولده ٧٦٢ هـ وفاته ٨٥٥ هـ .

شهر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمان مائة ، ومن الجزء الثالث يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين بعد أن مكثت فيه نصف سنة ، وكان الخلو بين الثاني والثالث مقدار ست عشرة[1] سنة وأكثر ، ومن الرابع إلى التاسع من ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين . ثم استمريت في الكتابة والتأليف إلى التاريخ المذكور ، وكانت مدة مكثي في التأليف مقدار عشر سنين مع تخلل أيام كثيرة فيها ، والحمد لله تعالى على هذه العمدة ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، انتهى مختصراً .

قال صاحب « كشف الظنون » : واستمد فيه من « فتح الباري » بحيث ينقل منه الورقة بكمالها ، وكان يستعيره من البرهان بن الخضر بإذن مصنفه له ، وتعقبه في مواضع وطوله بما تعمد الحافظ ابن حجر حذفه من سياق الحديث بتمامه ، وإفراد كل من تراجم الرواة بالكلام وتباين الأنساب واللغات والإعراب والمعاني والبيان ، واستنباط الفوائد من الحديث ، والأسئلة والأجوبة . انتهى مختصراً . قال : وحكي أن بعض الفضلاء ذكر لابن حجر ترجيح شرح العيني بما اشتمل عليه من البديع وغيره ، فقال بديهة : هذا شيء نقله من شرح ركن الدين ، وكنت وقفت عليه قبله ، ولكن تركت النقل منه لكونه لم يتم . وبالجملة فإن شرحه حافل كامل في معناه ، لكن لم ينتشر كانتشار « الفتح » في حياة مؤلفه .

---

(1) هكذا في الأصل وفيه تحريف ظاهر .

وقال الكوثري في « هامش لحظ الألحاظ » : ولما ظهر شرح البدر أصلح ابن حجر بعض مواضع من كتابه ، وحاول الرد على البدر في كتابه « انتقاض الاعتراض » لكنه ما أجاد ، ولا بلغ المراد ، وكان بينهما منافسة ، انتهى •

وقال القسطلاني في مقدمة شرحه : ولشيخ الإسلام ابن حجر « انتقاض الاعتراض » يجيب فيه عما اعترضه عليه العيني ، طالعته لكنه لم يجب عن أكثرها ، ولعله كان يكتب الاعتراضات ويبيض لها ليجيب عنها فاخترمته المنية ، وله أيضاً « الاستنصار على الطاعن المعثار » وهو صورة فتيا عما وقع في خطبة شرح البخاري للعلامة العيني ، انتهى ، وقد طبع مراراً •

٣ ــ « إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري » للشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني القاهري ، الشافعي المتوفى سنة ٩٢٢هـ ، وهو في الحقيقة تلخيص الشرحين المذكورين الفتح والعمدة ، والكتاب أيضاً معروف بالقسطلاني كاسم مؤلفه ، ولم يتحاش من الإعادة عند الحاجة إلى البيان ، ولا في ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن لنفع الخاصة والعامة ، وقد كتب له مقدمة في منزلة الحديث النبوي من الدين ، وعناية الأمة به حفظاً وجمعاً وتدويناً ، وقد طبع مراراً •

٤ ــ شرح الكرماني الذي سماه مؤلفه « بالكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » وهذا الشرح قد أكثر الأخذ عنه الحافظان ابن حجر والعيني ، وتبعهما من بعدهما • ومؤلفه هو

العلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني المتوفى سنة ٧٨٦ هـ •

قال صاحب « كشف الظنون » : شرح العلامة شمس الدين الكرماني ، شرح وسط مشهور بالقول ، جامع لفرائد الفوائد وزوائد الفرائد ، وفرغ منه بمكة المكرمة سنة خمس وسبعين وسبع مائة •

قال الحافظ ابن حجر في « الدرر الكامنة » : هو شرح مفيد على أوهام فيه في النقل لأنه لم يأخذه إلا من الصحف •

وإن شرح العلامة الكرماني مأخوذ من الشروح الثلاثة ، أي : شرح الخطابي الشافعي[1] ، وشرح ابن بطال المالكي[2] ، وشرح مغلطاي الحنفي[3] ، وقد طبع أيضاً مراراً •

---

(١) هو : حمد بن محمد البستي : فقيه محدث ، من أهل (بست) من بلاد كابل ، من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب . له « معالم السنن » و « شرح البخاري » وغيرها من الكتب .

مولده ٣١٩ وفاته ٣٨٨ هـ .

(٢) هو : علي بن خلف ، بن عبد الملك ، بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث ، من أهل قرطبة . له « شرح البخاري » .

وفاته ٤٤٩ هـ .

(٣) هو : مغلطاي بن قليج : مؤرخ ، من حفاظ الحديث ، عارف بالأنساب ، تركي الأصل ، له كتب كثيرة ، منها « شرح البخاري » .

مولده ٦٩٨ وفاته ٧٦٢ هـ .

٥ ــ شرح الإمام أبي زكريا محيي الدين النووي الشافعي المتوفى ٦٧٦ هـ ، قال في أول شرحه :

ولولا ضعف الهمم وقلة الراغبين في المبسوط ؛ لبلغت ما يزيد على مائة من المجلدات ، مع اجتناب التكرير والزيادات العاطلات ، بل لكثرة فوائده وعظم عوائده الخفيات والبارزات ، لكني أقتصر على التوسط • وبلغ هذا الشرح إلى آخر كتاب « الإيمان » حتى اخترمته المنية ، وطبع بالقاهرة •

٦ ــ شرح الإمام أبي سليمان الخطابي المتوفى ٣٠٨ هـ ، وهو شرح لطيف فيه نكت لطيفة ولطائف شريفة ، سماه « أعلام السنن » وهو في مجلد ، أخذ عنه الكرماني في شرحه •

٧ ــ شرح الإمام أبي الحسن علي بن خلف الشهير بابن بطال المغربي المالكي المتوفى ٤٤٤ هـ وغالبه فقه الإمام مالك من غير تعرض لموضوع الكتاب غالباً •

٨ ــ شرح الإمام عبد الواحد ابن التين ، وأكثر عنه الحافظ في « الفتح » وكان متداولاً قبل المائة التاسعة •

٩ ــ شرح الإمام ناصر الدين علي بن محمد المنير ، وهو شرح كبير في عشر مجلدات •

١٠ ــ شرح الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج المصري الحنفي المتوفى ٧٩٢ هـ ، وهو شرح كبير سماه « التلويح » وهو شرح بالقول •

١١ ـ شرح الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ، وهو تعليق لطيف سماه « التوشيح على الجامع الصحيح » ولخصه العلامة السيد علي بن سليمان المالكي الدمنتي ، وسماه « روح التوشيح » وقد طبع بالقاهرة .

١٢ ـ تعليقة العلامة أبي الحسن السندي[1] المتوفى ١١٣٨ هـ ، المطبوعة بالقاهرة على هامش البخاري .

١٣ ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، للشيخ الإمام زين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي[2] ، المتوفى سنة ٨٩٣ هـ ، حذف فيه ما تكرر وجمع ماتفرق في الأبواب وفرغ منه في شعبان٨٨٩هـ طبع بالقاهرة. وقد شرح هذا المختصر شيخ الإسلام الشيخ عبد الله الشرقاوي[3]

---

(١) هو : محمد بن عبد الهادي ، نور الدين السندي : فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية ، أصله من السند ، وتوطن بالمدينة . له حاشية على صحيح البخاري وحواش أخر .
وفاته ١١٣٨ هـ .

(٢) هو : أحمد بن أحمد ، معروف بالزبيدي : محدث البلاد اليمنية في عصره . له « التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» وهو مختصر لصحيح البخاري . مولده ٨١٢ هـ وفاته ٨٩٣ هـ .

(٣) هو : عبد الله بن حجازي،بن إبراهيم الشرقاوي الأزهري: فقيه ، من علماء مصر ، تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٠٨ هـ وصنف كتباً . مولده ١١٥٠ هـ وفاته ١٢٢٧ هـ .

الأزهري ، وشرحه مولانا نواب صديق حسن خان أمير بهوبال في الهند ، وسماه « عون الباري في حل أدلة البخاري » في أربع مجلدات ، هو أيضاً مطبوع بالقاهرة •

١٤ ــ « تيسير القاري » للشيخ العلامة نور الحق الدهلوي المتوفى ١٠٧٣ هـ وهو بالفارسية مطبوع بالهند •

١٥ ــ الحواشي التي علقها المحدث الكبير مولانا أحمد علي السهارنفوري المتوفى ١٢٩٧ هـ ، مطبوعة على هامش جميع النسخ المطبوعة بالهند ، مفيدة جداً ، يكفي لقارىء البخاري مطالعتها بالتدبر •

١٦ ــ « فيض الباري » هو أمالي درس الشيخ المحدث العلامة السيد محمد أنور شاه الكشميري المتوفى ١٣٥٢هـ، جمعها تلميذه البار مولانا بدر عالم الميرتهى المتوفى ١٣٨٥ هـ ــ رحمه الله ــ مطبوع بالقاهرة في أربع مجلدات كبار •

١٧ ــ « لامع الدراري على جامع البخاري » تأليف المحدث الكبير أستاذنا وشيخنا العلامة محمد زكريا الكاندهلوي السهارنفوري نزيل المدينة المنورة حالياً • وهو مجموع أمالٍ وتحقيقات للإمام الرباني شيخ المحدثين في عصره ، رشيد أحمد الكنكوهي ، المتوفى ١٣٢٣ هـ ، في أثناء تدريس الجامع الصحيح للإمام البخاري ، قيدها تلميذه النجيب الوفي الشيخ العلامة

محمد يحيى الكاندهلوي . وهو عصارة دراسات الشيخ ، ولباب تأملاته،وعكوفه الطويل على علم الحديث دراسة وتدريساً، وقد جاء دور شيخنا المحدث العلامة محمد زكريا الكاندهلوي بن العلامة محمد يحيى ، فنقحها وهذبها ، وتناولها بالشرح والإيضاح والكشف والإبانة ، وضم إليها ما فتح الله به عليه من نكت بديعة وإشارات لطيفة ، وتحقيقات نادرة وتطبيقات فائقة ، لا يعرف قيمتها إلا من باشر تدريس هذا الفن سنين طوالاً ؛ وعرضت له معضلات ومشكلات أثناء الدرس في مدة طويلة ، فلم يجد حلها في بطون الأسفار والكتب المتداولة والشروح المشهورة السائرة . وطبع في ثلاث مجلدات كبار بالهند ، ويطبع حالياً في القاهرة في عشرة أجزاء ، ومقدمته في جزء واحد ، طبعت بالهند والقاهرة . وهذه المقدمة ضافية على « لامع الدراري » قد اجتمعت فيها فوائد وعلوم قد تفرقت وتناثرت في كتب هذا الموضوع ، فجمعها مؤلفها الذي أصبح له الحديث شعاراً ودثاراً وذوقاً وحالاً في هذه المقدمة ، ويجد فيها المعلم والتلميذ غاية ما أورد به على البخاري ، واستشكل من هذا الكتاب ثم جوابه الشافي ، وشرحاً وافياً لرموز البخاري ومصطلحاته ومقاصده وأسراره في التراجم ولطائفه في التأليف ، فجاءت شاملة كاملة وموسوعة واسعة .

● ● ●

مناسبات الترتيب في صحيح البخاري

قال ابن حجر في مقدمته « هدي الساري » التي قدّم بها لشرحه العظيم على صحيح البخاري « المسمى بفتح الباري » : قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص عمر البلقيني تغمده الله برحمته: بدأ البخاري كتابه بقوله : كيف كان بَدْءُ الوحي ، ولم يقل : « كتاب الوحي » ولا « كتاب بدء الوحي » ، لأن بدء الوحي من بعض ما يشتمل عليه الوحي . قلت : ويظهر لي أنه إنما عراه من باب ، لأن كل باب يأتي بعده ينقسم منه ، فهو أم الأبواب فلا يكون قسيماً لها .

قال : وقدمه لأنه منبع الخيرات وبه قامت الشرائع ، وجاءت الرسالات ، ومنه عرف الإيمان والعلوم ، وكان أوله إلى النبي ﷺ بما يقتضي الإيمان من القراءة والربوبية وخلق الانسان ، فذكر بعده كتاب الإيمان أشرف العلوم ، فعقبه بكتاب العلم ، وبعد العلم يكون العمل ، وأفضل الأعمال البدنية الصلاة ، ولا يتوصل إليها إلاّ بالطهارة ، فقال : كتاب الطهارة ، فذكر أنواعها وأجناسها وما يصنع من لم يجد ماءً ولا تراباً ، إلى غير ذلك مما يشترك فيه الرجال والنساء وما تنفرد به النساء ، ثم « كتاب الصلاة » وأنواعها ، ثم « كتاب الزكاة » على ترتيب ما جاء في

حديث بُني الإسلام على خمس ، واختلفت النسخ في الصوم والحج أيهمـا قبـل الآخـر ، وكـذا اختلفت الروايـة في الأحاديث ، وترجم عـن الحـج بـ « كتـاب المناسـك » ليعم الحج والعمرة وما يتعلق بهما ، وكان في الغالب مـن يحج يمر بالمدينة الشريفة ، فذكر ما يتعلق بزيارة النبي ﷺ ، وما يتعلق بحرم المدينة . قلت : ظهر لي أن يقال في تعقيبه الزكاة بالحج : إن الأعمال لما كانت بدنية محضة ، ومالية محضة ، وبدنية مالية معاً ، رتبها كذلك ، فذكر الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الحج ، ولما كان الصيام هو الركن الخامس المذكور في حديث ابن عمر « بني الإسلام على خمس »[1] عقّب بذكره فقال : « كتاب الصيام » إنما أخره لأنه من التروك ، والترك وإن كان عملاً أيضاً ، لكنه عمل النفس لا عمل الجسد ، فلذا أخره ،وإلا لو كان اعتمد على الترتيب الذي في حديث ابن عمر لقدم الصيام على الحج ، لأن ابن عمر أنكر على من روىعنه الحديث بتقديم الحج على الصيام.

وهذه التراجم كلها معاملة العبد مع الخالق ، وبعدها معاملة العبد مع الخلق ، فقال : « كتاب البيوع » ، وذكر تراجم بيـوع الأعيان ، ثم بيع دين على وجه مخصوص وهو (السَّلَم) ، وكان البيـع يقع قهرياً فذكر « الشفعة » التي هي بيـع قهري .ولما

(١) متفق عليـه من حديث عبد الله بن عمر بـن الخطاب رضي الله عنهما .

تم الكلام على بيوع العين والدين الاختياري والقهري ،وكان ذلك قد يقع فيه غبن من أحد الجانبين ، إما في ابتداء العقد أو في مجلس العقد ، وكان في البيوع ما يقع على دينين لا يجب فيهما قبض في المجلس ولا تعيين أحدهما ــ وهو « الحوالة » ــ فذكرها . وكانت الحوالة فيها انتقال الدين من ذمة إلى ذمة أردفها بما يقتضي ضم ذمة إلى ذمة وهو « الكفالة » و «الضمان»، وكان الضمان شرع للحفظ ، فذكر « الوكالة التي هي حفظ للمال » وكانت الوكالة فيها توكل على آدمي فأردفها بما فيه التوكل على الله فقال « كتاب الحرث والمزارعة » وذكر فيها متعلقات الأرض والموات ، والغرس ، والشرب ، وتوابع ذلك . وكان في كثير من ذلك يقع الارتفاق،فعقبه بـ «كتاب الاستقراض»، لما فيه من الفضل والارفاق ، ثم ذكر : « العبد راع في مال سيده » ، ولا يعمل إلا باذنه للاعلام بمعاملة الأرقاء ، فلما تمت المعاملات كان لا بد أن يقع فيها منازعات ، فذكر « الإشخاص » و « الملازمة » و « الالتقاط » . وكان الالتقاط وضع اليد بالأمانة الشرعية ، فذكر بعده وضع اليد تعدياً وهو « الظلم »و«الغصب»، وعقّبه بما قد يظن فيه غصب ظاهر وهو حق شرعي ، فذكر : « وضع الخشب في جدار الجار » ، وصبّ « الخمر في الطريق »، و « الجلوس في الأفنية » و « الآبار في الطريق » ، وذكر في ذلك الحقوق المشتركة ، وقد يقع في الاشتراك نهبى ، فترجم : «النهبى»

بغير إذن صاحبه ، ثم ذكر بعد الحقوق المشتركة العامة ، الاشتراك الخاص فذكر : « كتاب الشركة » وتفاريعها ، ولما أن كانت هذه المعاملات في مصالح الخلق ذكر شيئاً يتعلق بمصالح الرعيــة ، وهي « الرهن » وكان الرهن يحتاج إلى فك رقبة وهو جائز من جهة المرتهن لازم من جهــة الراهن أردفه بالعتق الذي هو فك الرقبة ، والملك الذي يترتب عليه جائز من جهة السيد لا من جهة العبــد ، فذكر متعلقات العتق مــن « التدبير » و « الولاء » و « أم الولد » ، « والإحسان إلى الرقيق » ، « وأحكامهم » ، « ومكاتباتهم » . ولما كانت الكتابة تستدعي إيتاءً لقوله تعالى : (وآتوهُم مِنْ مَالِ اللهِ الذي آتاكم) [النور : ٣٣] ؛ فأردفه « بكتاب الهبة » ، وذكر معها العمرى والرقبى ، ولما كانت الهبة نقل ملك الرقبة بلا عوض أردفه بنقل المنفعة بلا عوض وهو : « العاريّة » ، « والمنيحة » . ولما تمت المعاملات وانتقال الملك على الوجوه السابقة وكان ذلك يقع فيه تنازع فيحتاج إلى الإشهاد أردفه بـ « كتاب الشهادات » . ولما كانت البينات قد يقع فيهـا تعارض ترجم « القرعة في المشكلات » ، وكان ذلك التعارض قد يقتضي صلحاً وقد يقع بلا تعارض ترجم « كتاب الصلح » ، ولما كان الصلح قد يقع فيه الشرط عقبه بـ«الشروط في المعاملات»، ولما كانت الشروط قد تكون في الحياة وبعد الوفاة ترجم « كتاب الوصية » و « الوقف » . فلما انتهى ما يتعلق بالمعاملات مع

الخالق ، ثم ما يتعلق بالمعاملات مع الخلق ، أردفها بمعاملة جامعة بين معاملة الخالق وفيها نوع اكتساب ، فترجم « كتاب الجهاد » إذ به يحصل إعلاء كلمة الله تعالى ، وبدأ بـ : « فضل الجهاد » ثــم ذكر ما يقتضي أن المجاهد ينبغي أن يعد نفسه في القتلى ، فترجم « باب التحنط » عند القتال • وقريب منه من ذهب ليأتي بخبر العدو وهو الطليعة ، وكان الطليعة يحتاج إلى ركوب الخيل• ثم ذكر من الحيوان ما له خصوصية وهي بغلة النبي ﷺ وناقته ، وكان الجهاد في الغالب للرجال وقد يكون النساء معهم تبعاً ، فترجم « أحوال النساء في الجهاد » ، وذكر باقي ما يتعلق بالجهاد ومنها : « آلات الحرب »،« وهيئتها » ، و « الدعاء قبل القتال »• وكل ذلك من آثار بعثته العامة ، فترجم : « دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام » ، وكان عزم الامام على الناس في الجهاد إنما هو بحسب الطاقة ، فترجم « عزم الإمام على الناس » فيما يطيقون وتوابع ذلك • وكانت الاستعانة في الجهاد تكون بجُعْلٍ أو غير جعل ، فترجم « الجعائل » وكــان الإمام ينبغي أن يكون أمام القوم ، فترجم « المبادرة عند الفزع » ، وكانت المبادرة لا تمنع من التوكل لاسيما في حق من نصر بالرعب ، فذكره وذكر مبادرته، على أن تعاطي الأسباب لا يقدح في التوكل ، فترجم « حمــل الزاد في الغزو » ، ثــم ذكر « آداب السفر » ، وكان القادمون من الجهاد قد تكون معهــم الغنيمة فترجم « فرض الخمس » ،

وكان ما يؤخذ من الكفار تارة يكون بالحرب ، ومـرة يكون بالصلح فذكر « كتاب الجزية » ، « وأحوال أهل الذمـة » ، ثم ذكر تراجم تتعلق « بالموادعة والعهد والحذر من الغدر » . ولما تمت المعاملات الثلاث وكلها من الوحي المترجم عليه بـدء الوحي ، فذكر بعد هـذه المعاملات : « بدء الخلق » . قلت : ويظهر لي أنه إنما ذكر بدء الخلق عقب كتاب الجهـاد ، لما أن الجهاد يشتمل على إزهاق النفس ، فأراد أن يذكر أن هـذه المخلوقات محدَثات ، وإن مآلها إلى الفناء وأنه لا خلود لأحد .

ومن مناسبة ذكر الجنة والنار اللتين مآل الخلق إليهما ، ناسب ذكر إبليس وجنوده عقب صفة النار لأنهم أهلها ، ثم ذكر الجن ، ولما كان خلق الدواب قبل خلق آدم عقبه بخلق آدم ، وترجم الأنبياء نبياً نبياً على الترتيب الذي نعتقده ، وذكر فيـه ذا القرنين لأنه عنده نبي ، وأنه قبل إبراهيم ، ولهذا ترجمه بعد ترجمة إبراهيم . وذكر ترجمة أيوب بعد يوسف لما بينهما مـن مناسبة الابتلاء . وذكر قوله : (واسألهم عن القريةِ التي كانتْ حاضرةَ البحرِ) [الأعراف : ١٦٣] بعد قصة يونس لأن يونس التقمه الحوت فكان ذلك بلوى له فصبر فنجا ، وأولئك ابتلوا بحيتان فمنهم من صبر فنجا ، ومنهم من تعدى فعذب ، وذكر لقمان بعد سليمان إما لأنه عنده نبي ، وإما لأنه من جملة أتباع داود عليـه السلام ، وذكر مريم لأنهـا عنده نبية ، ثم ذكر بعد

الأنبياء أشياء من العجائب الواقعة في زمن إسرائيل • ثم ذكر الفضائل والمناقب المتعلقة بهذه الأمة وأنهم ليسوا بأنبياء مع ذلك ، وبدأ بقريش لأنه بلسانهم أنزل الكتاب ، ولما ذكر أسلم وغفاراً ذكر قريباً منه : إسلام أبي ذر ، لأنه أول من أسلم من غفار ، ثم ذكر أسماء النبي ﷺ وشمائله ، وعلامات نبوته في الإسلام ، ثم فضائل أصحابه ، ولما كان المسلمون الذين اتبعوه وسبقوا إلى الإسلام هم المهاجرون والأنصار ، والمهاجرون مقدمون في السبق : ترجم مناقب المهاجرين ، ورأسهم أبو بكر الصديق ، فذكرهم ثم أتبعهم بمناقب الأنصار ، وفضائلهم • ثم شرع بعد ذكر مناقب الصحابة في سياق سيرهم في إعلاء كلمة الله تعالى مع نبيهم ، فذكر أولاً أشياء من أحوال الجاهلية قبل البعثة التي أزالت الجاهلية ، ثم ذكر أذى المشركين للنبي ﷺ وأصحابه، ثم ذكر أحوال النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة إلى الحبشة ، ثم الهجرة إلى الحبشة ، وأحوال الإسراء وغير ذلك ، ثم الهجرة إلى المدينة المنورة ، ثم ساق المغازي على ترتيب ما صح عنده ، وبدأ بإسلام ابن سلام تفاؤلاً بالسلامة في المغازي ، ثم بعد إيراد المغازي والسرايا ذكر : الوفود ، ثم حجة الوداع ، ثم مرض النبي ﷺ ، ووفاته ، وما قبض ﷺ إلا وشريعته كاملة بيضاء نقية ، وكتابه قد كمل نزوله ، فأعقب ذلك بكتاب التفسير ، ثم ذكر عقب ذلك فضائل القرآن الكريم ، ومتعلقاته ، وآداب

تلاوته ، وكان ما يتعلق بالكتاب والسنة من الحفظ والتفسير وتقرير الأحكام يحصل بــه حفظ الدين في الأقطار واستمرار الأحكام على الأعصار ، وبذلك تحصل الحياة المعتبرة ، أعقب ذلك بما يحصل منه النسل والذرية التي يقوم منها جيل بعد جيل، يحفظون أحوال التنزيل ، فقال : كتــاب النكاح ، ثم أعقبــه بـ « كتاب الرضاع » لما فيــه من متعلقات التحريم به ، ثم ذكر ما يحرم من النساء وما يحل ، ثم أردف ذلك بالمصاهرة ، والنكاح الحرام ، والمكروه ، والخطبة ، والعقد ، والصداق ، والولي ، وضرب الدف في النكاح ، والوليمة ، والشروط في النكاح ، وبقية أحوال الوليمة ، ثم عشرة النساء ، ثم أردفه كتاب الطلاق ، ثم ذكر أنكحة الكفار ، ولما كــان الإيلاء في كتاب الله مذكوراً بعد نكاح المشركين ذكره البخاري عقبه ، ثم ذكر الظهار وهو فرقة مؤقتة ، ثم ذكر اللعان وهو فرقة مؤبدة ، ثم ذكر العِدَد والمراجعة ، ثم ذكر حكم الوطء من غير عقد لما فرغ من توابع العقد الصحيح فقال : مهر البغي ، والنكاح الفاسد ، ثــم ذكر المتعة ، ولما انتهت الأحكام المتعلقة بالنكاح ، وكان من أحكامه أمر يتعلق بالزوج تعلقاً مستمراً ، وهو النفقة ذكرها ، ولما انقضت النفقات وهي مــن المأكولات غالبــاً ، أردف كتاب الأطعمة ، وأحكامها وآدابها ، ثم كان مــن الأطعمة ما هو خاص فذكر العقيقة ، وكان ذلك مما يحتاج فيه إلى ذبح فذكر الذبائح ، وكان

من المذبوح ما يصاد فذكر أحكام الصيد ، وكان من الذبح ما يذبح في العام مرة فقال : كتاب الأضاحي ، وكانت المآكل تعقبها المشارب فقال : كتاب الأشربة ، وكانت المأكولات والمشروبات قد يحصل منها في البدن ما يحتاج إلى طبيب فقال : كتاب الطب ، وذكر تعلقات المرض ، وثواب المرض ، وما يجوز أن يتداوى به ، وما يجوز من الرقى ، وما يكره منها ويحرم • ولما انقضى الكلام على المأكولات والمشروبات وما يزيل الداء المتولد منها ، أردف بكتاب اللباس والزينة ، وأحكام ذلك ، والطيب وأنواعه ، وكان كثير منها يتعلق بآداب النفس فأردفها بكتاب الأدب ، والبر والصلة ، والاستئذان ، ولما كان السلام والاستئذان سبباً لفتح الأبواب السفلية ، أردفها بالدعوات التي هي فتح للأبواب العلوية ، ولما كان الدعاء سبب المغفرة ، ذكر الاستغفار ، ولما كان الاستغفار سبباً لهدم الذنوب ، قال : باب التوبة ، ثم ذكر الأذكار المؤقتة وغيرها ، والاستعاذة ، ولما كان الذكر والدعاء سبباً للاتعاظ ، ذكر المواعظ والزهد ، وكثيراً من أحوال يوم القيامة ، ثم ذكر ما يبين أن الأمور كلها بتصريف الله تعالى ، فقال : كتاب القدر وذكر أحواله ، ولما كان القدر قد تحال عليه الأشياء المنذورة ، قال : كتاب النذور ، فكان النذر فيه كفارة ، فأضاف إليه الأيمان ، وكانت الأيمان والنذور تحتاج إلى الكفارة ، فقال : كتاب الكفارة ، ولما تمت أحوال الناس في

الحياة الدنيا ذكر أحوالهم بعد الموت ، فقال : كتاب الفرائض ، فذكر أحكامه ، ولما تمت الأحوال بغير جناية ، ذكر الجنايات الواقعة بين الناس فقال : كتاب الحدود ، وذكر في آخره أحوال المرتدين ، ولما كان المرتد قد لا يكفر إذا كان مكرهاً قال : كتاب الإكراه ، وكان المكره قد يضمر في نفسه حيلة دافعة ، فذكر الحيل وما يحل منها وما يحرم ، ولما كانت الحيل فيها ارتكاب ما يخفى ، أردف ذلك بتعبير الرؤيا لأنها مما يخفى وإن ظهر المعبر ، فقال الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناكَ إلاّ فتنةً للناسِ) [الإسراء : ٦٠] فأعقب ذلك بكتاب الفتن ، وكان من الفتن ما يرجع فيه إلى الحكام فهم الذين يسعون في تسكين الفتنة غالباً ، فقال كتاب الأحكام ، وذكر أحوال الأمراء والقضاة ، ولما كانت الإمامة والحكم قد يتمناهما قوم أردف ذلك بكتاب التمني . ولما كان مدار حكم الحكام في الغالب على إخبار الآحاد ، قال : ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق . ولما كانت الأحكام كلها تحتاج إلى الكتاب والسنة قال : الاعتصام بالكتاب والسنة ، وذكر أحكام الاستنباط من الكتاب والسنة والاجتهاد وكراهية الاختلاف ، وكان أصل العصمة أولاً وآخراً هو توحيد الله ، فختم بكتاب التوحيد ، وكان آخر الأمور التي يظهر بها المفلح من الخاسر ثقل الموازين وخفتها ، فجعله آخر تراجم كتابه ، فقال : باب قوله تعالى : (ونضعُ الموازينَ القسطَ ليومِ القيامةِ) [الأنبياء : ٤٧] . وأن أعمال بني آدم توزن ، فبدأ بحديث « إنما الأعمال بالنيات » . وختم بأن أعمال

بني آدم توزن ، وأشار بذلك إلى أنه إنما يتقبل ما كان بالنية الخالصة لله تعالى ، وهو حديث : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » ، فقوله : كلمتان فيه ترغيب وتخفيف ، وقوله : حبيبتان فيه حث على ذكرهما لمحبة الرحمن إياهما ، وقوله : خفيفتان فيه حث بالنسبة لما يتعلق بالعمل ، وقوله : ثقيلتان فيه إظهار ثوابهما ، وجاء الترتيب بهذا الحديث على أسلوب عظيم ، وهو أن حب الرب سابق ، وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه تالٍ ، وبعد ذلك ثواب هاتين الكلمتين إلى يوم القيامة ، وهاتان الكلمتان معناهما جاء في ختام دعاء أهل الجنان لقوله تعالى : (دعواهمْ فيها سبحانكَ اللهمَّ ، وتحيتهمْ فيها سلامٌ ، وآخر دعواهمْ أن الحمدُ لله ربِّ العالمينَ) . [يونس : ١٠] . انتهى كلام الشيخ ملخصاً .

● ● ●

وإلى هنا ينتهي بنا هذا الحديث الموجز عن سيرة الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ وعن كتابه « الجامع الصحيح » . هذا وقد وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب قبيل صلاة المغرب يوم الاثنين الثالث من أول الربيعين سنة خمس وتسعين وثلاث مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية ، ولله الحمد أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأتباعه حملة الدين إلى يوم الدين .

المـــراجع

١ ـ « إرشاد الساري إلى شرح البخاري » للقسطلاني

٢ ـ « إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين » للأمير صديق حسن خان

٣ ـ « الإرشاد إلى مهمات الإسناد » للشيخ الإمام ولي الله الدهلوي

٤ ـ « أبجد العلوم » للأمير صديق حسن خان

٥ ـ « الأبواب والتراجم للبخاري » للعلامة محمد زكريا الكاندهلوي

٦ ـ « الأبواب والتراجم » لمولانا شيخ الهند محمود الحسن

٧ ـ « الأعلام » (قاموس تراجم) لخير الدين الزركلي

٨ ـ « بستان المحدثين » للشيخ المحدث عبد العزيز الدهلوي

٩ ـ « التاريخ الكبير » للإمام البخاري

١٠ ـ « توجيه النظر في أصول أهل الأثـر » للشيخ طاهر الجزائري

١١ ـ « تدريب الراوي » للسيوطي

١٢ ـ « تذكرة الحفاظ » للذهبي

١٣ ـ « تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر العسقلاني

١٤ ـ « تعليق السندي على الجامع الصحيح للإمام البخاري »

١٥ ـ « التبر المسبوك » للحافظ السخاوي
١٦ ـ « الثقافة الإسلامية في الهند » لمولانا عبد الحي اللكهنؤي
١٧ ـ « الجامع الصحيح » للإمام البخاري
١٨ ـ « الحطة بذكر الصحاح الستة » للأمير صديق حسن خان
١٩ ـ « حجة الله البالغة » للشيخ الإمام ولي الله الدهلوي
٢٠ ـ « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » للحافظ السيوطي
٢١ ـ « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » للحافظ ابن حجر العسقلاني
٢٢ ـ « ذيول تذكرة الحفاظ » للعلامة الكوثري
٢٣ ـ « روح التوشيح على الجامع الصحيح » للسيوطي
٢٤ ـ « شرح الجامع الصحيح » للإمام النووي
٢٥ ـ « شرح تراجم أبواب البخاري » للشيخ ولي الله الدهلوي
٢٦ ـ « شروط الأئمة الستة » للحافظ المقدسي
٢٧ ـ « شروط الأئمة الخمسة » للحافظ أبي بكر الحازمي
٢٨ ـ « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » للحافظ السخاوي
٢٩ ـ « طبقات الحفاظ » للحافظ السيوطي
٣٠ ـ « عمدة القاري » للحافظ بدر الدين العيني
٣١ ـ « فيض الباري على صحيح البخاري » للشيخ العلامة محمد أنور الكشميري

٣٢ ـ « في رحاب السنة » للدكتور محمد محمد أبو شهبة

٣٣ ـ « الكواكب الدراري » للكرماني

٣٤ ـ « كتاب الأنساب » للسمعاني

٣٥ ـ « كشف الظنون » للملا كاتب جلبي

٣٦ ـ « مقدمة الجامع الصحيح » « هدي الساري » للحافظ ابن حجر العسقلاني

٣٧ ـ « مقدمة أوجز المسالك » للمحدث العلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

٣٨ ـ « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زاده

٣٩ ـ « ما تمس إليه الحاجة لمن يريد أن يطالع سنن ابن ماجه » لمولانا عبد الرشيد النعماني

٤٠ ـ « مقدمة لامع الدراري » للمحدث العلامة محمد زكريا

٤١ ـ « المحدثون العظام » للمؤلف

٤٢ ـ « المستدرك » للحاكم أبي عبد الله النيسابوري

٤٣ ـ « نبراس الساري في أطراف البخاري » لمولانا سعيد ابن عبد العزيز

٤٤ ـ « وفيات الأعيان » لابن خلّكان

٤٥ ـ « هامش لحظ الألحاظ » لابن فهد

٤٦ ـ « اليانع الجني لأسانيد الشيخ عبد الغني » لمحمد بن يحيى الفورنوي الترهتي

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الفصل الثــاني

السيرة الذاتية لمحقق هذا الكتاب

* هو تقي الدين بن بدر الدين بن محمد حسن الندوي.
* ولادته في سنة ١٩٣٤/١٢/٢٤م، في أعظم جراه الهند.
* قد حصل على شهادة الدكتوراه في الحديث الشريف من جامعة الأزهر الشريف سنة ١٩٧٦م.
* قبل الحصول على درجة الدكتوراه، كان أستاذ الحديث بجامعة ندوة العلماء بالهند، وشيخ الحديث بجامعة فلاح دارين غجرات، درس فيهما كُتب السُّنَّة من صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وغيرها.
* بعد الحصول على الدكتوراه كان المستشار العلمي والقاضي الشرعي بدائرة القضاء الشرعي بأبوظبي منذ سنة ١٩٧٥م، إلى سنة ١٩٨١م.
* بدأ التدريس كأستاذ مَنتَدَب بجامعة الإمارات العربية المتحدة منذ ١٩٧٩م، ثم ترقّى بها إلى درجة أستاذ مساعد سنة ١٩٨٥م، ثم درجة أستاذ سنة ١٩٩٤م.
* ساهم في تقويم العديد من الأعمال العلمية لجامعات مختلفة، وكذلك الترقيات العلمية للعديد من الأساتذة.

الندوات والمؤتمرات التي شارك فيها:

١ – مؤتمر رسالة المسجد في العالم، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ١٩٧٥م.

٢ – مؤتمر السيرة والسُّنَّة بدولة قطر سنة ١٩٨٠م.

٣ مؤتمر الإمام مالك بأبوظبي سنة ١٩٨٤م.
٤ – المهرجان التعليمي العالمي لندوة العلماء بالهند سنة ١٩٧٥م.
٥ – المؤتمر العالمي لدار العلوم ديوبند بالهند سنة ١٩٨١م.
٦ – الندوة العالمية لدار المصنفين بالهند ١٩٨٢م.
٧ – ندوة الأدب الإسلامي بندوة العلماء، بالهند سنة ١٩٨١م.
٨ – المؤتمر العالمي لقضايا الدعوة الإسلامية بندوة العلماء، بالهند سنة ١٩٩٦م.
٩ – ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالسُّنَّة والسيرة النبوية بالمدينة المنوّرة سنة ٢٠٠٤م.
١٠ – ندوة علمية بعنوان (الإمام محمد زكريا الكاندهلوي)، الهند، سنة ٢٠٠٤م.

عضوية الجمعيات والهيئات:

١ – عضو في المجلس الاستشاري لجامعة ندوة العلماء، الهند.
٢ – عضو في المجلس الاستشاري لدار المصنفين، الهند.
٤ – عضو في المجلس الاستشاري لجامعة مظاهر العلوم، الهند.
٤ – رئيس الجامعة الإسلامية بمظفر فور، أعظم جراه، يوبي، الهند.
٥ – رئيس مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية بمظفر فور، أعظم جراه، يوبي، الهند.

****

من أعمال المحقق

١ – أعلام المحدثين في الهند، ط: المدينة المنورة، ١٩٨١م.
٢ – السُّنَّة مع المستشرقين والمستغربين، ط: المدينة المنورة، ١٩٨٥م.
٣ – أعلام أئمة الحديث، ط: الهند، ١٩٨٧م. وسيصدر قريباً من بيروت.
٤ – علم رجال الحديث، ط: المدينة المنورة، ١٩٨٨م.
٥ – الإمام البخاري سيد الحفاظ والمحدثين، ط: بيروت، ودمشق.
٦ – الإمام مالك ومكانة كتابه «الموطأ»، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م.
٧ – الإمام أبو داود الفقيه المحدث، ط: دار القلم، بيروت.
٨ – دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأُولى، ط: دولة قطر.
٩ – ساعة من الربانيين (ملفوظات الشيخ المحدث محمد زكريا الكاندهلوي)، ط: الهند.
١٠ – كتاب الزهد الكبير، للإمام البيهقي (تحقيق وتعليق)، ط: أبوظبي، والكويت.
١١ – ظفر الأماني (في علوم الحديث)، للإمام اللكنوي، (تحقيق وتعليق)، ط: بيروت.
١٢ – التعليق الممجد شرح الموطأ برواية الإمام محمد للإمام اللكنوي، (تحقيق وتعليق)، طبع في ٣ مجلدات.
١٣ – أوجز المسالك شرح موطأ مالك للعلامة المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، (تحقيق وتعليق) ١٨ مجلداً.

١٤ - بذل المجهود في حل أبي داود، للعلاّمة المحدِّث الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، (تحقيق وتعليق) ١٤ مجلداً.
١٥ - قَبَسَات من القرآن والسُّنَّة، للجنة من الأساتذة، كان مشاركاً فيها، ط: الكويت، ١٩٨٩م.
١٦ - الإمام الطحاوي المحدث، مجلة كلية الآداب بجامعة الإمارات، ١٩٩٠م.
١٧ - أسرار تراجم البخاري، مجلة كلية الشريعة والقانون، ١٩٩٢م.
١٨ - الإمام النسائي والصناعة الحديثية، مجلة كلية الآداب، ١٩٩٤م.
١٩ - المحدث العظيم الآبادي وعون المعبود، مجلة كلية الآداب، ١٩٩٤م.
٢٠ - السيرة النبوية للعلامة شبلي النعماني وتكملته للعلامة السيد سليمان الندوي، دراسة وتحليل، مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
٢١ - الإمام ولي اللّه الدهلوي وعلم الحديث، مجلة البرهان الدهلي.
هذه وغيرها من البحوث والدراسات.

****

ذكر أسانيد هذا العبد الضعيف
عَفَا اللّه عنه وعافاه

١ - إني أخذت «الجامع الصحيح» لأمير المؤمنين في الحديث، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري قراءة وسماعاً من أوّله إلى آخره كاملاً في جامعة مظاهر العلوم بالهند، عن العلاّمة المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، الملقّب بشيخ الحديث المهاجر المدني صاحب «أوجز المسالك» وغيره من الكتب النافعة، وقد أجازني جميع مروياته في الحديث إجازة عامة، وكتب وثيقة الإجازة بعناية بالغة.

وقد أخذت سنن أبي داود، وشرح معاني الآثار للطحاوي، و«سنن ابن ماجد» و«سنن النسائي»، عن الناقد البصير مولانا أسعد اللّه الرامفوري، و«صحيح مسلم»، و«الموطأ»، للإمام محمد بن حسن الشيباني عن العالم الجليل مولانا منظور أحمد خان السهارنفوري، أخذت «مشكاة المصابيح» و«جامع الترمذي» و«شمائل الترمذي» و«موطأ الإمام مالك» عن الشيخ أمير أحمد الكاندهلوي، وهو من أرشد تلاميذ الشيخ العالم الجليل مولانا عبدالرحمن الكاملبوري.

٢ - قرأت «الجامع الصحيح» للإمام البخاري كاملاً و«صحيح مسلم» كاملاً و«جامع الترمذي» و«شرح نخبة الفكر» على العلامة المحدث الشيخ حليم عطاء السيلوني في جامعة ندوة العلماء بالهند، وإسناده يصل إلى القاضي الشوكاني أيضاً.

٣ - لي إجازة عامة لجميع كتب الحديث الشريف من العالم الرباني الشيخ محمد أحمد - رحمه اللّه تعالى - هو أخذ هذه الكتب من العالم الرباني الشيخ بدر علي الشاه، وهو من أرشد تلاميذه العالم الرباني

العلامة المسند المعمر فضل رحمن الكنج مرادآبادي، هو أخذ الحديث المسلسل بالأولية والمسلسل بالمحبة، وسمع شطراً من «صحيح البخاري» عن مسند الهند المحدث الكبير الشاه عبدالعزيز بن الشاه ولي اللّه الدهلوي، ثم قرأ الصحاح الستة على الشاه محمد إسحاق.

٤ - لي إجازة عامة من العلامة المحدث الشيخ محمد يوسف البنوري، وقرأت عليه أوائل الصحاح الستة في المسجد النبوي في حالة الاعتكاف في شهر رمضان الكريم، وكتب لي الإجازة العامة بخطه.

٥ - أما شهادة الدكتوراه في الحديث الشريف، قد حصلت عليها من جامعة الأزهر الشريف، بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى أمين التازي. كان رئيس قسم الحديث الشريف بالأزهر، وتوفى بمكة المكرّمة ودُفن فيها (رحمه اللّه رحمة واسعة).

لقد ذكرت هذه الأسانيد بإيجاز للمعرفة عليها، لأن كثيراً من العلماء والطلبة أخذوا مني إجازة الحديث الشريف في الهند وفي الحرمين الشريفين وفي الإمارات وغيرها من البلدان[١].

---

(٢) قد جمع أسانيدي العزيز محمد حسان أختر الندوي، مدرس الجامعة الإسلامية، الهند، وسمّاه: «الدر الثمين بأسانيد الشيخ تقي الدين الندوي»، سيُطبَع قريباً إن شاء اللّه.

طبعت لدى شركة أبوظبي للطباعة والنشر [بن دسمال]